محمد علي فهمي

إعداد

حـــــازم عفيفي

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

51 ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب : محمد علي فهمي

(أبطال حرب أكتوبر)

المؤلـــف : حـازم عفيفي

الناشــــر : مؤسسة دار الفرسان

تصميم الغلاف: **فرى برنت-**

رقم الإيداع : 11275/ 2016

طبعة ثانية : 2016

فهرسة أثناء النشر

حــازم عفيفي

محمد علي فهمي / حــازم عفيفي ٠– ط1 ٠– القاهرة :

مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، 2016 م .

80ص ؛ 24 سم ٠– (أبطال حرب أكتوبر)

تدمك :977-6169-62-7

1 – الرجال – تراجم

أ. العنوان 923

آية قرآنية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

.... ﴿الأحزاب : **23**﴾

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن ماضي الأمم والمجتمعات لا يحسب بسنوات بقائها أو أعمار شعوبها ، وإنما يحسب من رصيد حضارتها ، وميراثها من أفذاذ الرجال الذين يصنعون بأعمالهم الجليلة ماضيها ، ويرفعون مشاعل نهضتها فتضئ الطريق لحاضرها ومستقبلها ، فمن ليس له ماضي لن يكون له حاضر أو مستقبل .. فتاريخ أبطالنا الذين صنعوا للأمة أمجادها أحق أن يدرس ، وأجدر أن يعرف فنستلهم ما فيه من عِبَر ، ونتبين ما فيه من أحداث .. فمن حقِ هؤلاء الأبطال العظماء علينا أن نذكر جليل أعمالهم ونتلمس بديع مواهبهم وفضائل أعمالهم .. وحقِ وطننا علينا أن نقتبس من ضيائهم ونستلهم عِبَر تاريخهم .. لاسيما في هذا العصر الذي يمور بأمواج متلاطمة من الأحداث متسارعة الإيقاع ،

فالعالم من حولنا يسير خطوات واسعة وإن لم نلاحقه ونتابع خطوه وطأتنا أقدامه .. فسيرة العظماء للأمم بمثابة القلب النابض ، فإن نُسِيَتْ أعمالهم وطُمِسَتْ سيرتهم صار تاريخها كالقليب [1] الناضب .. واليوم نحن في حاجة ماسة كي نكشف اللثام عن ذكرى مجدٍ تليد أُلقيت أستار من النسيان على عظماء الأمة الذين صنعوا حضارتها ، فتاه خطاهم وانطمست سيرتهم ففقدنا قدوتهم .. في وقتٍ تحترم كل الأمم تاريخها وترفع قدر رجالها ، فكيف بنا ونحن بلد الحضارة

وأرباب المجد وعناصر الرفعة ؟!

---

(1) القليب : البئر الجاف .

ونحن هنا في معرض حديثنا عن أبطال أكتوبر ، تلك الحرب المجيدة التي لو اختصرنا تاريخنا في أحداثها لما أعجزنا حصره ولما أغفلناه ، ولا أبالغ إن قلتَ أنه عمل يعدل في عظمته قيمة الزمان .. فحرب أكتوبر نقطةٌ مضيئةٌ في ذاكرةِ مصر والأمة العربية .. وستظل محفورة بحروفٍ من نورٍ في ذاكرةِ التاريخ فهي بستانَ زاهر ، وروضٌ ناضر ، وسماء رحيبة تتلألأ بالشموس المضيئة ، والأقمار المنيرة ، والنجوم الزاهرة .. ولا عجب فإنه الجندي المصري خيرأجناد الأرض كما أخبر الرسول الكريم ، ومثار إعجاب قادة العالم الذين تزدحم كتب التاريخ بأعمالهم .. يقفون مشدوهين أمام بطولاتهم .. فهذا "نابليون بونابرت" يقول : " لو كان عندي نصف جيش مصر لغزوت العالم " ، وقال البارون "بول كونت" بعد أن أذهلته معارك الجيش المصري في سوريا عام 1832م : " المصريون هم خير ما رأيتُ من الجنود " ..

ثم جاءت حرب أكتوبر 73 لتصل به إلى ذروة المجد والارتقاء ، وتشهد على بطولات أبناء مصر الكرام ، فقالت "التايمز" : " لقد برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال ، وقدرة ضباطهم على القيادة ، واستخدام أحدث أنواع السلاح .. " ..

إنهم أبطال مصر خير شاهدٍ على عظمتها ، والمثل الحيُّ على رقي حضارتها ، والنبراس الذي يضئ لنا حاضرنا ومستقبلنا ..

المؤلف

محمد علي فهمي .. من هــــو ؟

قائد عسكري فذ ، لم يجد التاريخ العسكري في العصر الحديث بمثله . إنه يعد الأب الروحي لواحد من أقوى الأسلحة في الجيش المصري والذي حسم حرب أكتوبر 73 لصالح قواتنا ، بل والتي غيرت الاستراتيجية العسكرية والتكتيك الحربي لدي كثير من دول العالم ، وغيرت ميزان القوة العسكرية في الشرق الأوسط ، بل ودول العالم أجمع بلا مبالغة .

وهكذا دخل هذا العملاق التاريخ العسكري من أوسع أبوابه ... إنه البطل المشير/ محمد علي فهمي أسطورة الدفاع الجوي المصري وقائده ، وأحد أبطال حرب أكتوبر البارزين ،



الذي وصفته مجلة " أرمييه " أبرز المجلات العسكرية الفرنسية فقالت وأسهبت في وصفه : " من أبرز الشخصيات العسكرية في العالم ، وأحد كبار المتخصصين في النواحي العسكرية " . وقال عنه " هودر " رئيس تحرير مجلة " أسبوع الطيران وتكنولوجيا الفضاء " الأمريكية الشهيرة : " إنه مهندس معركة الدفاع الجوي في حرب أكتوبر 1973 م " .

وهكذا تبرز قيمة هذا البطل على الصعيد الدولي العالمي وقد نال مكانة مرموقة بين الهيئات والجهات المتخصصة في العالم تقديرا لدوره البارز في نهضة العسكرية المصرية ...

النشأة والتعليم :

ولد محمد علي فهمي في الحادي عشر من شهر أكتوبر سنة 1920 م ، لأسرة محافظة تشربت قلوب أفرادها من الإيمان بالله وحب الوطن ، ونشأ منذ نعومة أظفاره وقد أضاء قلبه الصغير نور الإيمان وعشق الوطن الذي تربَّى على حبه والإخلاص له .. لقد كان الطفل محمد علي فهمي ذكيا لماحا تشع عيناه ببريق الذكاء والألمعية والذهن المتوقد .. متفوقًا في دراسته على أقرانه منذ سنواته الأولى في الدراسة ، فكان مضرب المثل في التفوق وحسن الخلق بين أساتذته وزملائه .. وكان إلى جانب توقد ذهنه وتفتح إدراكه يملك حسا وطنيا خالصا يجعله منشغلاً بقضايا وطنه مما دفعه في النهاية إلى اختيار الكلية الحربية على غيرها من الكليات العلمية التي كانت تلبي رغبته العلمية ، وتخرَّج فيها بتفوق ليصبح ضابط مدفعية مضادة للطائرت . وتعرف على قادة كبار كانوا من أعظم رجلات القوات المسلحة ، وكان من أبرز القادة الذين أثروا تأثيراً عميقًا في شخصيته الفريق أول محمد فوزي قائد الجيش المصري ومهندس حرب الاستنزاف [1]

وبرغم أن محمد فوزي كان يكبره بخمس سنوات إلا أنه كان قدوةً ومثلاً أعلى فقد عمل لفترة طويلة معلما بالكلية الحربية ثم أصبح مديرا له ومن هنا كانت معرفة بطلنا له وصلته الوطيدة به ، ثم تدرَّج محمد فوزي في المناصب حتى شغل منصب رئيس أركان الجيش المصري في فترة حالكة من تاريخ مصر العسكري والسياسي وذلك خلفاً للمشير عبد الحكيم عامر بعد نكسة يونيو 67 ، ويرجع إليه الفضل في إعادة تنظيم صفوف الجيش المصري بعد النكسة ، ويعد مهندس وقائد حرب الاستنزاف ، وكان أول من عمل على تطوير سلاح الدفاع الجوي المصري وأسهم في بناء حائط الصواريخ المصري ،

ثم جاء محمد علي فهمي فلازمه واستكمل عمله الذي كان قد بدأه ، وبذل جهدَ خارقًا حتى استكمل بناء هذا السلاح الفعَّال الذي قلب ميزان المعركة لصالح قواتنا المسلحة ، وحققت بفضل توجيهاته طفرة غيرمسبوقة في مجال التكنولوجيا التي أذهلت العالم وغيَّرت نظرة العالم إلينا ..

---

(1) ولد محمد فوزي في عام 1915 م بالمنوفية وتولى منصب وزير الحربية في الفترة ما بين 1971/5/14م ، وحتى أُحيل للتقاعد في 1972/10/26 م ، وتِوفي عام 2000 م عن عمر يناهز 85 عاما .

نشأة الدفاع الجوي وتطوره :

ظهرت الحاجة إلى الدفاع للجوي ملحَّة بمجرد ظهور الطائرات واستخدامها في مجال الحرب ، فقد كان ظهور الطائرت في القتال بحق طفرة هائلة ؛ فهي تطير عاليًّا في جو السماء ، بعيدة المنال ، وتحدث نسبة هائلة من الخسائر مما جعلها وإلى الآن سلاحا فعَّالاً في المعارك الحديثة . ومن هنا برزت أهمية السلاح المضاد الذي يستطيع التصدى للطائرات الرهيبة وهو الدفاع الجوي الذي كان له دورا كبيرا في إعادة ميزان القوة في المعارك بين البر والجو ، وتأثيرا حيويًّا على سير المعارك ونتائجها . والدفاع الجوي أحد الأسلحة الحديثة في أي جيش متقدّم نشأ بدءا من الحرب العالمية الأولى ، وتكمن مسئوليته الأساسية في الدفاع عن الأهداف الأرضية والبحرية الجوية ، والتصدي للطائرات التي تغير على الأهداف الحيوية والاستراتيجية في العمق ، وذلك لأنها إذا لم تتم حمايتها تصبح فريسة سهلة للطائرات المقاتلة . وخاصة ذات الإمكانيات القتالية الهائلة في العصر الحديث . وعادةً ما تُلحق وحدات الدفاع الجوي بالقوات البرية والبحرية والجوية لتقوم بمهام الدفاع عن وحداتها ولحماية دورها الاستراتيجي في المعركة

وقد كان رجال الدفاع الجوي يمارسون عملهم نهارا عن طريق المراقبة الجوية وإطلاق صفارات الإنذار فتصب نيران مدفعيتها على الطائرات المغيرة التي تطير على الارتفاعات المؤثرة ، أما في الليل فتقوم قوات الدفاع الجوي بتسليط كشافات عملاقة تنير السماء ليتمكن رجال المدفعية المضادة من رؤية الطائرات وإصابتها . ويرجع الفضل في تطوير هذا السلاح إلى نجاح بريطانيا في اختراع جهاز "الرادار" الذي كان لاستخدامه إبان الحرب العالمية الثانية تأثيرا كبيرا فيما سمِّي "بمعركة بريطانيا" حيث تمكّنت بفضله أعداد قليلة من المقاتلات البريطانية من الصمود أمام الأسراب الضخمة من طائرات النازي . واستطاع سلاح الطيران الملكي البريطاني أن يتصدى للهجوم الجوي الألماني بفضل "الرادار" الذي كان يكتشف الطائرات الألمانية قبل وصولها إلى السواحل البريطانية ، وبناء على ذلك تصدر أوامر الإقلاع للمقاتلات البريطانية التي يتم توجيهها بواسطة أجهزة "رادارات" أخرى إلى مؤخرة الطائرات الألمانية فتصيبها بدقة وسهولة وسط دهشة الطيارين الألمان .. وهكذا تطوَّر سلاح الدفاع الجوي في العصر الحديث ليستخدم في عمله منظومة من طائرات الاستطلاع

و"الرادارات" (قصيرة . متوسطة . طويلة) المدى مع منظومة الدفاعات الأرضية التي تُستخدم فيها صوريخ (أرض . جو) (قصيرة . متوسطة . طويلة) المدى ، وكذلك مدفعية الطائرت السريعة الثابتة والمتحركة ، والصواريخ المحمولة المضادة للطائرت لصدّ هجوم الطائرات المقاتلة أو الصواريخ الموجهة لتدمير الأهداف الحيوية سواء كانت أرضية أو بحرية أو جويَّة . وتعتبر الخمسينات من القرن العشرين علامة فارقة في تاريخ الحروب الجوية حيث قام الخبرء العسكريون بعمل إجراءات مضادة لعمل تلك "الرادارات" ، فقد اتجهت الدول المتقدّمة في مجال التسليح إلى إنتاج مقاتلات وقاذفات يمكنها التحليق على ارتفاعات منخفضة لتصبح بديلاً عن القذفات الثقيلة التي تحلّق على ارتفاعات كبيرة فيسهل كشفها بواسطة أجهزة "الرادار" وبالتالي يسهل تدميرها قبل وصولها إلى الأهداف التي تريد مهاجمتها ، ثم بدأت الدول المتقدّمة عسكريًّا في إنتاج صواريخ مضادة للطائرات (أرض . جو) تحقق نسبة عالية من الإصابة ، وذلك بجانب إنتاج طائرت مقاتلة إعتراضية تقتصر مهامها على اعتراض خط سير الطائرات المغيرة وتدميرها قبل وصولها إلى أهدافها وذلك بمساعدة أجهزة "الرادار" الأرضية

التي تقوم باكتشاف طائرات الخصم وتتبعها . وهكذا ومع التقدُّم العلمي الهائل في التكنولوجيا العسكرية أصبح سلاح الدفاع الجوي أشبه بمنظومة متكاملة ، ولنأخذ فكرة عامة عن الدفاع الجوي يمكنًّا تشبيه هذا السلاح بنظامه المتكامل بجسم الإنسان في وظائف أعضائه المختلفة ، فهو عينٌ ترى (رادار) ، وعقل يفكر (أطقم من العسكريين يتمتعون بخبرات عالية ويحتشدون في مراكز العمليات الخاصة بالدفاع الجوي ، وقد تطوَّر الأمر في الآونة الأخيرة لتحل العقول الألكترونية مكان العقول البشرية) ، وأيدٌ تبطش (المقاتلات الاعتراضية والصوريخ والمدفعية المضادة للطائرت) وأعصاب (أجهزة المواصلات السلكية واللاسلكية المختلفة) تربط هذه العناصر المتباينة ، ويمكن تقسيم الدفاع الجوي إلى أقسام ثلاثة :

1 . الدفاع الجوي الإيجابي : ويقصد به مجموعة الإجراءات التي تقوم بها قوات الدفاع الجوي لتدمير وسائل الهجوم الجوي للعدو قبل وصولها إلى أهدافها ، ويمكن حصر وسائل الدفاع الجوي في :

– صواريخ (أرض . جو) تطلقها كتائب الصواريخ .

– صواريخ (جو . جو) تطلقها المقاتلات الاعتراضية .

– أعيرة نارية تطلقها مدافع المقاتلات الاعتراضية .

– أعيرة نارية تطلقها المدفعية المضادة للطائرات المتمركزة فوق سطح الأرض .

– الصواريخ الخفيفة المضادة للطائرات التي يحملها المشاة وبرزت أهمية هذا السلاح في حرب أكتوبر 73 التي أحدثت نقلة نوعية هائلة في توظيف جندي المشاة في الحرب في مواجهة الأسلحة الضخمة المتطورة في البر والبحر والجو .

2 . الدفاع الجوي السلبي : ويقصد به مجموعة من الإجراءات التي تتخذها القوات المسلحة لتقليل نسبة الخسائر وتضليل العدو إذا ما نجح في اختراق المجال الجوي مثل : عمليات الإخفاء والتمويه للأهداف الحيوية ، وعمليات المناورة بالقوات الدفاعية بتغيير أماكنها وعمليات التوزيع والانتشار للقوات عملاً بالمثل القائل "لا تضع البيض كله في سلة واحدة" .

3 . الدفاع الجوي المدني : ويقصد به مجموعة الإجراءات التي تقوم بها السلطات لتقليل نسبة الخسائر بين المدنيين والأهداف المدنية مثل : الإسعاف . الإطفاء . الإخلاء . إزالة القنابل . بناء المخابئ . مد وإصلاح شبكات المياه والصرف الصحي والكهرباء . ... إلخ .

ومع التطوُّر المستمر للأحداث السياسية والعسكرية بالمنطقة ، ومع حدوث التقدم الهائل في تكنولوجيا الحروب وتكتيكاتها كان من الضروري أن تنتحي مصر هذا المنحى ، خاصة وقد تشكّلت ملامح قوة جديدة في المنطقة وتجهزت بأحدث الأسلحة وأعتاها ، لقد أصبحت إسرائيل الراعي الذي يرعى مصالح القوى الإمبريالية بالمنطقة ، والشرطي الذي ينفذ سياسة الغرب المطلقة ، واليد الطولى التي تضرب وتؤدب وتمارس سطوتها إلى أقصى الحدود .. وكانت هزيمة يونيو 67 التي عُرفت بالنكبة والسقطة المدوية للجيش المصري التي سلبت مصر كرامتها ونالت من عزتها واستقطعت منها جزءا عزيزًا من أرضها .. حيث أطلقت إسرائيل أذرعها الطويلة لتضرب الطائرات المصرية وهي رابضة في ممراتها فتدمر سلاح الجو المصري وتفرض سيطرتها المطلقة عل الجو ..

تخترق دفاعاتنا في أي وقت شاءت تقصف المنشآت وتدك المباني وتلحق أشد الأضرار بالأفراد والممتلكات .. وكان لزاما على القيادة المصرية أن تقوم بإجراء تردع به سلاح الطيران الإسرائيلي الذي أصبحت له الذراع الطولى بالمنطقة . وكا ن من الطبيعي أن تغيِّر مصر من قيادتها التي فشلت في مواجهة التفوق والسيطرة الإسرائيلية لتضع مكانها من يملكون القدرة على التغيير ..

لذا فقد أُحيل للتقاعد كلاً من لواء طيَّار / مصطفى الحناوي قائد القوات الجويَّة ، واللواء / حسن كامل قائد الدفاع الجوي وذلك في 22 يونيو عام 1969 إثر إختراق جوي إسرائيلي لسماء القاهرة .. وفي ظهر يوم 23 يونيو عام 1969 أصدر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قرارا جمهوريًّا بتعيين اللواء / محمد علي فهمي قائدا لقوات الدفاع الجوي المصري ، وكان ذلك إيذانًا بمولد القوة الرابعة في القوات المسلحة بعد القوات البرية والجوية والبحرية حيث كانت قوات الدفاع الجوي تابعة لسلاح الطيران المصري .

وفور توليه مهام منصبه قام البطل المصري محمد علي فهمي بدراسة أسباب نكسة 67 ، والدروس المستفادة منها ، ورأى أنه من الضروري أن نعيد تأهيل الجندي المصري معنويًّا وجسديًّا وذهنيًّا للقيام بواجبه في الدفاع عن تراب مصر على خير وجه ، فعمل على ذلك بكل طاقته ، وبدأ مشروعه العظيم الذي إذا ما مزج فيه بين العلم والأخذ بأسبابه وملاحقة التقدم التكنولوجي الهائل في مجال التسليح مع تدريب أفراد القوات المسلحة تدريبا عاليا ، وبين ما بثه فيهم من شحنة إيمانية عالية فسوف يتحقق لنا النصر في معارك المستقبل . لذا عمل على إنشاء نظام دفاع جوي متطور يبدأ في منطقتي الجيشين الثاني والثالث على الجبهة ليكون حائطًا للصواريخ ويقف سدًّا منيعا أمام الطائرات الإسرائيلية حتى لا تجرؤ إحداها على الاقتراب من سماء مصر ، بل والابتعاد مسافة كافية ..

سلاح الجو الإسرائيلي .. نشئته .. خطورته :

وقبل أن نتحدث عن بناء الدفاع الجوي وتطوره يجب أن نلقي الضوء على سلاح الجو الإسرئيلي الذي عرف بذرعها الطولى لنعلم مدى الجهد الذي قام به أبطال الدفاع الجوي في مواجهته وتحييده .. وأصدق ما يعبر عن أهمية سلاح الطيران بالنسبة لإسرئيل واعتمادها عليه ما جاء على لسان أديب إسرائيلي قال : " إن إسرئيل ليست دولة بالمعنى المعروف ، ولكنها عبارة عن سلاح طيران يملك دولة " ، وعلى الجانب العسكري لا نجد تعبيرا أكثر غرورا وتبجحا مما ورد على لسان "عازر وايزمان" القائد السابق لسلاح الطيران الإسرئيلي ، وأهم مؤسسيه حيث قال : " إن إحسن دفاع عن إسرئيل يكمن هناك في سماء القاهرة " ، وما يقوله "إيجال آلون": " أن إسرائيل لديها خططاً عسكرية تمتد حتى القطب الشمالي . يقصد طائرتهم الحربية .. " ، بل أن الدوائر العسكرية الأجنبية وصفت سلاح الجو الإسرئيلي بأنه من أكثر أسلحة الطيران تماسكاً وإحكاما في العالم ، إشارة إلى الفاعلية الكبيرة والتعاون التام بين أطقمه المختلفة . ويعد سلاح الطيران الإسرائيلي هو العمود الفقري للجيش الإسرئيلي منذ تم تكوينه قبيل حرب 1948 م ،

وكان اللبنة الأساسية لأسطولهم الجوي آنذاك يتكون من 250 طائرة بريطانية وأمريكية ، وعدد كبير من الطيارين الإسرائيلين الذين تدربوا في سلاح الطيران الملكي البريطاني وأخذوا خبراتهم من مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية ، كما تم دعم هذا السلاح بعدد هذا السلاح بعدد من المتطوعين الأجانب الذين عملوا جميعا على تطوير هذا السلاح . وكانت أولي الطائرات التي تسلح بها الطيران الإسرئيلي هي الطائرات الفرنسية والإنجليزية التي تفوق سرعة الصوت وقد خاضت إسرائيل بها حرب 56 ورغم خسارتها عشر طائرات أسقطتها المدفعية المصرية المضادة للطائرات . وفي حرب 1967م كان تسليح القوات الجوية قد بلغ حدًّا مناسبا من الطائرات الحديثة ، فقد دخلت إسرائيل هذه الحرب ولديها :

. 72 مقاتلة اعتراضية من طراز (ميراج . 3) .

. 24 مقاتلة من طراز (سوبر ميستير) .

. 40 مقاتلة من طراز (ميستير . 4) .

. 40 قاذفة مقاتلة من طراز (أورجان) .

. 24 قاذفة مقاتلة من طراز (فوتور) .

. 12 طائرة نقل حربية من طراز (نورد أطلس) .

. 5 طائرات هليكوبتر من طراز (سوبر فريلون) .

. 4 طائرات هليكوبتر من طراز (ألويت) .

. 24 طائرات هليكوبتر من طراز (سيكورسكي) .

. 60 طائرة تدريب تم تسليحها من طراز (فوجا . ماجستير) .

فكان عدد طائراتها 305 طائرة (72 مقاتلة اعترضية . 64 مقاتلة . 64 قاذفة مقاتلة . 12 طائرة نقل حربية . 33 طائرة هليكوبتر . 60 طائرة تدريب تم تسليحها) .

فقد شن سلاح الجو الإسرائيلي هجومه على مطارتنا في صباح 5 يونيو 1967 م وألقى بكل ثقله في هذه الضربة الجوية



لدرجة أنه لم يتبق داخل إسرئيل سوى 12 طائرة حربية للقيام بمهمة الطيران الاعتراضي (الدفاع الجوي) منها ثماني طائرات كانت رابضة فوق المطارت بينما الأربعة الباقية كانت تحت مظلة "دانة" بقطاع غزة . واستطاعت الطائرات الإسرائيلية تدمير 300 طائرة (75 % من الطائرت المصرية) وهي رابضة فوق مطاراتنا . وكانت إسرئيل في معارك الاستنزاف تعتمد على سلاحها الجوي اعتماداً مطلقاً ، فكانت طائراتها تخرج كل يوم للإغارة على الجبهة المصرية ، بل ووصل الأمر إلى مطاردة رجال القوات الخاصة (الصاعقة) بالطائرات المقاتلة والقاذفات عندما كانوا يغيرون على مواقعها شرقي القناة . ومع استمرار القيادة المصرية في توجيه الضربات المتتالية لإسرئيل فيما عرف بحرب الاستنزاف لم تتوقف إسرئيل عن اعتمادها على سلاحها الجوي في الانتقام لهذه العمليات الاستنزافية ،

فانتهجت إسترتيجية (الردع الجسيم) باستخدام طائراتها لإيقاف استراتيجية استنزاف القوات المصرية لقواته ، وتحطيم معنويات الشعب المصري بغاراته المتكررة وذلك لإضعاف وحدته والعمل على انهياره من الداخل ، ويمكن حصر أهداف إسرائيل من هذ المخطط في النقاط الآتية :

1 . تدمير نظام الدفاع الجوي المصري والقوات الجوية المصرية ، وبذلك يتحقق له السيادة الجوية الكاملة .

2 . إسكات النشاط العسكري المصري المؤثر في منطقة القناة ، وإحباط حرب الاستنزاف التي بدأتها مصر .

3 . عرقلة بناء القوات المسلحة المصرية ، وبذلك تموت فكرة إمكانية شن حرب هجومية لتحرير الأرض .

4 . نقل الإحساس بوطأة الحرب والإحباط النفسي إلى الشعب المصري وقد تحقق ذلك بغارات العمق حيث كانت الطائرت الحربية الإسرائيلية تشن غارتها على مواقع مدنية في العمق المصري وبذلك تتصدع الجبهة الداخلية أو ما يسميه البعض "استرتيجية البعد الثالث" .

وقد بدأت إسرائيل في تنفيذ هذا المخطط على ثلاث مرحل :

المرحلة الأولى : يتم فيها شن غارات جوية ضد القوات المصرية المتمركزة على طول جبهة القتال مع التركيز على عناصر الدفاع الجوي ووحدات المدفعية .

المرحلة الثانية : وفيها يتم تنفيذ غارت العمق مع استمرار الغارات على الجبهة أيضًا .

وفي 8 أغسطس 1970 م قبلت مصر وسوريا وإسرائيل وقف إطلاق النار المؤقت لتستغل مصر هذه الفترة في تدعيم واستكمال بناء دفاعها الجوي في جبهة قناة السويس ، وتفرغت إسرائيل لبناء خط بارليف الحصين لوقايتها من نيران المدفعية المصرية .. ورغم التحصينات القوية لخط بارليف إلا أن ذلك لم يصرف الجيش الإسرائيلي عن اعتماده المطلق على سلاحه الجوي ، وذلك من منطلق علمها بأن وسيلتهم الوحيدة الناجحة في أي موجهة عسكرية هي الطيران ؛ لأن المواجهة البرية لن تكون فعالة لصالحهم ، لذا كان لابد لها أن تملك وسيلة ما تدعم لها الحماية الجوية رغم وجود خط بارليف وهذه النظرية تُعرف بنظرية الدفاعات المرنة ، لذلك فإن مواقع خط بارليف الحصينة قد ربطت بشبكات اتصال لطلب نجدات الطيران مع أي محاولة لعبور القوات المسلحة المصرية للقناة ،

وقاموا بتدريب الجنود العاملون في النقاط الدفاعية على العمل كمراقبين أرضيين مساعدين للطيران لتسهيل التعاون بين النقاط الحصينة والدعم الجوي المباشر لها . وفي هذه الفترة قدَّمت الولايات المتحدة الأمريكية العون للعدو الإسرئيلي فجهزته بأحدث وأقوى الطائرات في العالم حتى أصبح سلاح الطيران الإسرائيلي يفوق بكثير القوة الجوية للحلفاء في الحرب العالمية الثانية مجتمعة . ووصلت شحنات من طائرات "سكاي هوك" الأمريكية ثم تلاها وصول دفعة من طائرات "الفانتوم" الأمريكية في سبتمبر 1969 م ، بعد إتمام تدريب الطيارين والفنيين على استخدامها ، وهاتان الطائرتان من أكفأ طائرات القتال في العالم وأحدثها ، كما حصلت إسرائيل على طائرات الهليكوبتر الفرنسية من طراز (الويت . 2) و(الويت . 30) بالرغم من الحظر الفرنسي ، حيث اشترتها إسرائيل من شركة "شترانير" الهولندية التي تستورد إنتاج مصانع الطائرات الفرنسية "سودواينا سيون" ، وقد زُودت هذه الطائرات بأجهزة رؤية ليلية لتسهيل عمليات الملاحة الجوية ليلاً وإصابة الأهداف بدقة ، هذا بإضافة إلى طائرات الاستطلاع بدون طيَّار من طراز (رايان فايربي . 1) التي تطير على ارتفاع 18 كم بسرعة 1100 كم / س ،

وتناور بزوايا صعبة يصعب على الطيار الآدمي عملها ، ومن هذه الطائرات الاستطلاعية الآلية التي أُضيفت إلى الأسطول الجوي الإسرائيلي طائرتي (شـــوكار) ، و(ستراتوكروزر) . وقد عبَّر وزير الدفاع الإسرئيلي "موشى ديان" عن ذلك بصدق عندما أعلن في يناير 1972 م ، أن سلاح الطيران الإسرئيلي أصبحت قيمته حينذاك خمسة أضعاف ما كانت عليه في حرب يونيو 1967م ، وهكذا خرج إلى الوجود تعبير الذراع الطويلة الإسرائيلي ؛

لأن هذه الطائرات تغطي مدًّى هائلاً يصل إلى السودان جنوبا وليبيا غربا ، بل لم تكن هناك دولة عربية واحدة لا تستطيع أن تصل طائرات إسرائيل الجديدة إليها .

تصدي دفاع مصر الجوي للطيران الإسرائيلي

في حرب الاستنزاف :

وقد نجح المقاتل المصري في حرب أكتوبر في إسقاط هذه الطائرات المتفوقة بأعداد كبيرة لدرجة أن السلاح الجوي الإسرائيلي اضطر إلى استخدام طائرات (السوبر ماستير) الفرنسية القديمة إلى أن تم دعمه بطائرات مماثلة عبر الجسر الجوي الأمريكي ، كما تمكن رجال الدفاع الجوي المصري من تدمير طائرة الاستطلاع الإسرائيلية من طراز (ريان فايربي ـ 1) التي تطير بدون طيار مع صغر حجمها وسرعتها الهائلة وارتفاعها الشديد ، كما أسقطت قوات الدفاع الجوي المصرية الطائرة (شوكار) التي تطير بدون طيار في 13 ديسمبر 1973م وهي ثالث طائرة استطلاع ألكتروني بدون طيار تسقطها قواتنا بعد طائرتي (فايربي . 1) ، و(ستراتوكروزر) ،

ومن المعروف أن جهاز العسكرية في أي دولة لا تلجأ إلى استخدام هذه الطائرت إلا بعد إحساسه بمناعة الدفاعات الجوية للخصم ، وهذا معناه اعتراف صريح من قِبَلِ إسرائيل بمناعة وسائل الدفاع الجوي المصري .

وفيما بين شهري يونيو ويوليو 1970م استطاعت عناصر من الدفاع الجوي المصري أن تدمر لإسرائيل ما يربو عن 16 طائرة فانتوم أي نسبة 25% مما كان متوفرا لديها في هذا الوقت ، وأن يصيب عدداَ مماثلاً منها ، ويأسر عدداَ من أكفأ طياريه ..

سلاح الجو الإسرائيلي إبان حرب أكتوبر 1973 م :

ظلت الولايات المتحدة وغيرها من الدول المتقدمة تمد إسرائيل بأحدث الطائرات حتى بلغ إجمالي عدد طائرات سلاح الجو الإسرائيلي إبان حرب 1973م إلى عدد 777 طائرة منها : 457 طائرة مقاتلة ومقاتلة قاذفة وقاذفة ، بينما بلغ عدد الطائرات المصرية 522 طائرة منها : 398 طائرة مقاتلة ومقاتلة قاذفة وقاذفة . وكانت من أهم الحقائق الثابتة التي وضعتها القيادة الإسرائيلية نصب عينيها هو اعتمادها على سلاح الطيران ، ومن هنا اهتمت إسرائيل اهتماما بالغًا بتزويد سلاحها الجوي بأحدث المعدات وأنواع التسليح القادرة على سحق أي هجوم ، وكانت إسرائيل قد أحكمت بناء خط بارليف الحصين ، وقامت بتجارب عليه خرجت منها بأنها في حالة حدوث أي هجوم مصري سوف تلجأ إلى الطيران الإسرائيلي الذي سيقوم بالخطوات الآتية :

. قصف القوات المصرية بكثافة قبل وأثناء فترة العبور .

. القصف المكثف لرؤوس الكباري التي سيحاول المصريون إقامتها على الضفة الشرقية لتثبيت قواتهم .

. قصف المعابر وكباري الاقتحام التي سيبنيها المصريون عبر القناة .

. معاونة قوات الهجوم المضاد الإسرائيلية في معاركها التصادمية مع القوات المصرية التي قد تنجح في العبور .

ولم تضع إسرائيل في حسبانها السلاح المصري المضاد لطائراتها من قوات الدفاع الجوي التي أربكت حساباتها وسببت لها خسائر بالغة ، وخلخلت خططها الاستراتيجية ...

قوات الدفاع الجوي المصري على بداية الطريق :



لكن كيف تغلبت قوات الدفاع الجوي المصرية على سطوة سلاح الجو الإسرائيلي بما لديه من أحدث وسائل التكنولوجيا والطائرات المقاتلة ؟ وكيف تغلبت على سلبيات البداية التي كانت تنحصر في العوامل الآتية :

أولاً : إن القوات الجوية الإسرائيلية قد خرجت بعد جولة 1967م عندما استطاعت في ساعات قليلة أن تقضي على القوات الجوية المصرية وعلى وحدات الصواريخ (سام) ثم تسيدت بعد ذلك سماء مسرح العمليات تماما .. وقد اكتسبت القوات المعادية ثقة كبيرة في قدراتها القتالية وروحها المعنوية ..

ثانيا : إن القوات الجوية الإسرائيلية أصبحت متفوقة بشكل واضح وتمتلك أحدث طراز من الطائرات ، وطيارين على مستوى عال ، وقد استغرق إعداد هذه القوات ما بين 11 ـ 15 عاما .

ثالثًا : إن بناء قوات الدفاع الجوي المصري لم تكن في فسحة من الوقت ، بل كانت معرَّضة قبل أن يكتمل بناء عناصر الإنذار والسيطرة والقيادة التكتيكية ووسائل التدمير للقصف من قبل العدو الجوي الذي كانت لديه فرصة في إيجاد ثغرات للتدمير والنفاذ إلى عمق الأراضي المصرية .

رابعا : إن العدو راح يكمل قصة غروره وحربه النفسية بعملياته التعريضية للإغارة على المدن والقرى العربية ويقتل الأطفال في مدارسهم ، والعمال في مصانعهم ، والمواطنين الآمنين في قراهم و مدنهم ، أو التعرض للطائرات أو المطارات المدنيَّة . ومن هذه الأسباب نشأ أخطر صراع بين الإرادتين والذي دار حول تصميم مصر على إقامة شبكة للصواريخ المضادة للطائرات ، وبين تصميم العدو على منع ذلك بأي ثمن مستخدما سلاحه الجوي ليل نهار .

نشأة الدفاع الجوي المصري :

لكن الإرادة المصرية انتصرت واستطعنا بناء قوات الدفاع الجوي في ملحمة ليس لها مثيل ، وقد ساهم في هذا العمل العظيم جهد متكامل من الشعب المصري العظيم الذي قدَّم لهذا العمل مبلغ 5000 مليون جنيه كإنفاق مباشر هي حصيلة الإنفاق على بناء شبكة الصواريخ الألكترونية المتكاملة دفعها الشعب المصري من قوته وعناصر رفاهيته ، والعامل المصري الذي بنى للصواريخ دشما حصينة من تصميم وابتكار العقل المصري بلغت قدراتها التحصينية حدًّا أذهل خبراء حلفي الأطلنطي ووارسو ، مما دعا الخبراء في الحلفين إلى استخدام مقاييسها وتصميماتها في إعادة بناء دشم قواتها سواء كانت للطائرات أو للصواريخ .. وكان هذا العامل المصري يعمل في أقسى الظروف وأشد المخاطر .. يحافظ على سرية المكان ، ويقاوم السهر والتعب في سبيل تحقيق غايته النبيلة ، وقادة القوات المسلحة الذين وعوا أهمية هذا السلاح الفعال الذي يواجه أعتى أسلحة إسرائيل ، ومقاتل الدفاع الجوي الذي تسيد هذه المعدات استيعابا وتطويرا واستخداما ،

فقد حطّم الذراع الطويلة لإسرائيل وتهاوت الطائرات ذات النجمة السداسية الزرقاء على أيديهم كأنها نيازك متهاوية ، وقد اكتسب الجندي المصري خبرة قتالية عظيمة في حروب الاستنزاف حتى أن الرئيس السادات وقف يتحدث بفخر لأحد المراسلين العرب بعد إنجاز **1973** م العظيم قائلاً : " لديَّ الآن أداة لحرب الصواريخ التي لم يدخلها بعد أي من القوتين الأعظم .. عندي اليوم قائد مصري للصواريخ أعتبره بلا مبالغة الخبير الأول في العالم لأنه مارس حرب الصواريخ ولديه خبرة قتال فيها ، والآخرون عندهم صواريخ ولكن لم يستعملوها وليس عندهم خبرة عملية .. لقد اكتسبنا نحن هذه الخبرة في هذا السلاح خلال حربي الاستنزاف وأكتوبر ، وأصبحت لدينا خبرة قتالية لا تقدر بثمن .. " ، وكان الرئيس السادات يعرف أقدار رجاله ، وكان البطل محمد على فهمي بحق عند ظنه وظن شعب مصر الذي وضع ثقته بين يديه وأيدي قادة القوات المسلحة الذين عبروا بمصر المحنة وأحرزوا نصرا رفع هامة مصر إلى السماء ، وأعاد لها كرامتها وكبريائها .. لقد أيقنت قيادة القوات المسلحة بعد حرب **1967** م

أهمية نظام الدفاع الجوي فهو العامل الحاسم في صدّ أي هجوم جوي للعدو ، وحماية أهداف الدولة الحيوية بما فيها وسائل الردع التي تملكها ، ولذلك فإن عملية إعادة بناء القوات المسلحة بعد نكسة 67 ركّزت بصفة أساسية على قوات الدفاع الجوي ، وقد بذلت جهودٌ متواصلة لإتمام بناء منظومة متكاملة للدفاع الجوي المصري يستطيع أن يواجه بنديَّة سلاح الجو الإسرائيلي والذي يعتبر سر تفوقه في الحروب ، ويرجع الفضل في ذلك بالدرجة الأولى إلى الفريق عبد المنعم رياض الذي كان تولّى حينذاك منصب رئيس أركان القوات المسلحة ، وكان واحدًا من أكثر القادة العسكريين ثقافةً وعلما في كافة فروع العلوم العسكرية وخاصة الدفاع الجوي الذي كان في الأساس واحداً من رجاله ، وكان الدفاع الجوي حينئذٍ شعبةً تابعةً للقوات الجوية ، وكان قد عرض عليه قبل هزيمة يونيو 1967 بقليل تولّي قيادة هذه الشعبة لكنه رفض هذا المنصب ما لم يؤهل تأهيلاً كاملاً ، وإزاء ذلك أرسلته الحكومة في دورة تدريبية بالاتحاد السوفيتي درس خلالها عمليات الدفاع الجوي المعقّدة

وعاد إلى مصر ، وكان قد اشترط لتولّي قيادة الدفاع الجوي أن يتم فصل الدفاع الجوي عن القوات الجوية ويرتدي أفراده زيًّا خاصا يميزهم عن باقي أفراد القوات المسلحة ، وتحقق لعبد المنعم رياض هذا الحلم ولكن وهو رئيس أركان للجيش ، وسمعنا في مصر في يونيو 1968م لأول مرة عن قوات الدفاع الجوي كما اعتدنا من قبل السماع عن القوات البرية والبحرية والجوية ، ووقع الاختيار على اللواء / حسين كامل ليكون أول قائد لقوات الدفاع الجوي المصري بينما تولّى اللواء / محمد علي فهمي رئاسة أركان قوات الدفاع الجوي ، وتعاون الر جلان في بناء القوات الجوية وبذلا سويا جهدا كبيرا في إعدادها للمهام الصعبة التي تنتظرها في المستقبل ، كما تأثر كثيرا بأستاذه محمد فوزي الذي كان يتولّى منصب رئيس أركان الجيش المصري خلفًا للمشير عبد الحكيم عامر بعد نكسة 1967م ، والذي عمل جاهدا على إعادة تنظيم صفوف الجيش المصري بعد النكسة وعمل على تطوير سلاح الدفاع الجوي المصري وأسهم في بناء حائط الصواريخ المصري الشهير .

الجبهة المصرية في مرحلة الاستنزاف :

وكانت حالة جبهة القناة حينئذٍ تشهد توترا ملحوظًا حيث كان كثيرا ما يحدث تراشق بمدفعية الميدان بين الجانبين المصري والإسرائيلي ، وبينما كان الفريق/عبد المنعم رياض ذات مرة في زيارة للجبهة فلاحظ وجود طائرة مروحية صغيرة تنتمي للسلاح الجوي الإسرائيلي تحلق على ارتفاع متوسط فوق الضفة الشرقية لقناة السويس بعيداً عن مرمى المدفعية المضادة للطائرات ، وكانت هذه ا لطائرة من طراز (بيبر) تكاد لا تساوي ثمن الصاروخ المضاد للطائرات وهو السلاح الوحيد القادر على إسقاطها من هذه المسافة التي تحلّق بها شرقي قناة السويس ، ولكن حسابات الفريق عبد المنعم رياض كانت مختلفة فهذه الطائرة على الرغم من انخفاض قيمتها إلا أنها كانت تقوم بدورٍ بالغ الأهمية حيث كانت تقوم بتصحيح الضرب للمدفعية الإسرائيلية لتصيب أهدافها على الضفة الغربية ، ومن ثَمَّ أصر أوامره بإسقاطها وعلى الفور انطلق صاروخ من طراز (سام . 2) فهوت الطائرة بمن فيها محترقة ، وظلت قوات الدفاع الجوي تسعى لتطوير أدائها فاستمرت في معاركها الشرسة من معارك الاستنزاف بين سلاح الطيران الإسرائيلي من جانب وقوات الدفاع الجوي المصري من الجانب الآخر ، واستمرت حتى آخر دقيقة عندما بدأ سريان مفعول قرار وقف إطلاق النار .

بناء الدفاع الجوي المصري :

لقد كانت بداية بناء سلاح الدفاع الجوي المصري في يوليو عام 1968م ولم يكن العدو الإسرائيلي ليترك لنا الفرصة لإتمام ذلك العمل ، فقد دخلت وحدات الدفاع الجوي المصري وخاصة المدفعية المضادة للطائرات في جولات قتالية رائعة إبان حرب الصمود والردع والاستنزاف وتوالت دروس الشجاعة والصمود بدءا من "الجزيرة الخضراء" عام 1969 م إلى صمود بورسعيد أمام غارات العدو المتتالية في عام 1973م

ويعد يوم 30 يونيو 1970م نقطة فارقة في تاريخ دفاعنا الجوي ، فقد خرج الطيران الإسرائيلي في صباح ذلك اليوم كعادته يمارس عدوانه المتكرر على أرض مصر فإذ به يتلقى لطمات قاسية لم تكن في حساباته ويفاجئ الطيارون الإسرائيليون بصواريخ تنطلق من الأرض لم يكتشفوها تصيب طائراتهم وتهوي بها محترقة وكان هذا هو أول إعلان عن حائط الصواريخ المصري الرهيب كما سمَّته الصحافة العالمية . وأيقنت إسرائيل حينئذٍ أن سلاحها الجوي الذي تعتمد عليه كليًّا وبقوة في أية معركة من معارك الحرب في خطر

وأنه لن تكون له فاعلية طالما كانت لدى مصر شبكة دفاع جوي قوية تحمي أهدافها وتحول دون وصول أية طائرة إسرائيلية إلى أهدافها في العمق المصري ، ففي حين شرعت مصر في بناء حائطها الجوي بدأ سلاح الجو الإسرائيلي معركته للحصول على ما أسماه الجنرال الفرنسي الشهير "أندريه بوفر" بالحرية الجوية ويتلخص هذا المبدأ العسكري في ضرورة قيام السلاح الجوي بتمزيق وسائل الدفاع الجوي للخصم الآخر حتى تصبح حرة قادرة على النيل من عدوها واستباحة سمائه . وتولى اللواء / محمد على فهمي قيادة الدفاع الجوي في يوم 23 مايو عام 1969م واستمر في بناء قواعد الصواريخ في الحائط الجوي الشهير ، بينما استمر القتال بضراوة بين وحدات الدفاع الجوي المصري وسلاح الطيران الإسرائيلي ، ويحسب لقوات الدفاع الجوي المصري صمودها ووقوفها ندًّا لند مع سلاح الجو الإسرائيلي الشهير الذي كان يتكون من أكثر من 500 طائرة قتال مجهزة بأحدث الأسلحة الألكترونية في حين كان رجال قوات الدفاع الجوي لا يملكون إلا إيماناً بالله وبسالة في القتال وأسلحة بسيطة غير متطورة ،

وبمرور الوقت ازدادت شراسة السلاح الجوي الإسرائيلي لدرجة أنه خلال الأربعة أشهر الأولى من عام 1970م بلغ متوسط طلعات العدو على مواقعنا بجبهة القناة حوالي 180 طلعة أسبوعيًّا ، وفي الأسبوع الثاني من مايو زاد عدد طلعاته الجوية إلى 526 طلعة أسبوعيًّا ، حيث كان العدو الإسرائيلي يعتمد على طائرات الفانتوم (إف . 4) وطائرات (سكاي هوك) وهذه الطائرات تحمل كميات هائلة من القنابل تزن الواحدة منها 900 كجم من مواد شديدة الانفجار والتي تعد أقوى ما أنتجته الولايات المتحدة الأمريكية وقتها . لقد كان العدو الإسرائيلي يهاجم بكثافة شديدة فالموقع الذي لا تتجاوز أبعاده 300م × 300م يهاجم بعدد من الطائرات يبلغ 269 طائرة وتُسقطُ عليه نحو 50 قنبلة حمولتها 225 كجم . 450 كجم أي ما يعادل 15 طنًّا من المتفجرات في حين أن المعدلات المرعية لتدمير القوات في هذه المساحة لا تزيد عن 3 أطنان

.. وقد بلغ عنف غارات العدو الجوية إلى حد أنها كانت تصل إلى 180 طلعة طيران بأعداد تتراوح بين 100 . 250 طائرة تلقي آلاف القنابل يوميًّا ..

وقد واجهت مواقع الدفاع الجوي هذه الهجمات الإرهابية بشجاعة نادرة وإصرار على مواصلة القتال مهما كانت التضحيات . أما قوات الدفاع الجوي المصري فلم تكن تمتلك أسلحة كثيرة بعد ما فقدته في حرب يونيو 67 ، وتمكنت من الحصول على أسلحة ومعدات متطورة من الاتحاد السوفيتي عام 1970 م مثل صاروخ (سام . 6) ، وصاروخ (سام . 7) ، والمدفع عيار 23 ملم الرباعية الموجَّهة راداريًّا ، والطائرات الاعتراضية من طراز (ميج . 25) .

شبكة الدفاع الجوي المصري :

وأصبح من الضروري بناء شبكة فعَّالة للدفاع الجوي المصري تقوم بتغطية الجبهة وتعمل على وقاية القوات البرية بها في الوقت الذي كان فيه السلاح الجوي الإسرائيلي مصمما على تحقيق مبدأ الحرية الجوية وعدم إعطاء الفرصة لإقامة أية تحصينات للصواريخ الجديدة .. وكان رجال الدفاع الجوي المصري على قدر المسئولية ، فقد قبلوا التحدي يقودهم قائد السلاح اللواء / محمد علي فهمي يؤازرهم ، ويشد على أيديهم ، ويقوِي عزائمهم ، يوجههم ويشاركهم أعمالهم ..

لقد كان من الضروري بناء قواعد خرسانية خاصة لإطلاق الصواريخ المضادة للطائرات وكانت هناك وجهتا نظر فيما يخص بناء هذه القواعد :

. إما القفز مباشرة إلى المواقع الأمامية بالجبهة .

. أو الزحف البطئ وذلك بأن يتم إنشاء حائط الصواريخ نطاقًا نطاقًا بحيث تتمركز الصواريخ في النطاق المتقدِّم تحت حماية النطاق الخلفي له .

وكان هذان الاحتمالان محل بحث ودراسة من اللواء / محمد علي فهمي وصنّاع القرار بالقوات المسلحة ، وبالطبع وقع اختيار القيادة المسئولة على أسلوب الزحف البطئ ، ويمكن القول أنه لم يحدث في تاريخ المعارك الحربية أن أسهمت فئة من المدنيين بمثل التضحيات التي ساهم بها عمال البناء المصريين من أبناء الصعيد في بناء أشهر حائط للصواريخ في التاريخ . وفي البداية سارت الأمور كما ينبغي وتم إنشاء مواقع النطاق الأول دون أي رد فعل من جانب العدو الإسرائيلي ، ثم بدأ العدو يلاحظ عن طريق وسائل استطلاعه النشاط المريب من جانبنا ، ويقول "زئيف شيف" المحرر العسكري لجريدة "هاآرتس" الإسرائيلية . والمعروف بصلته الوطيدة بموشى ديان وكبار المسئولين في وزارة الدفاع الإسرائيلية . :

" إن القيادة الإسرائيلية لم تفهم في بادئ الأمر ماذا يفعله عمال البناء المصريون في منطقة الجبهة ، لكنهم رغم ذلك قرروا مهاجمة تلك المنشآت الغريبة التي يبنيها العمال المصريون ، وخرجت طائرات الجو الإسرائيلي تقصف هؤلاء العمال المدنيين دون أن يتأكدون مما يقوم به هؤلاء العمال الأبرياء ..

لقد كان الغموض يكتنف هذه العملية الغريبة على الضفة الغربية من قناة السويس إلى أن حصلت القيادة الإسرائيلية على مجموعة من الصور التقطتها أقمار التجسس الأمريكية كشفت عن وجود منشآت خرسانية بمنطقة السد العالي والإسكندرية مماثلة تماما للمنشآت التي يقوم العمال المصريون ببنائها غرب القناة ، وهنا أدرك المسئولون الإسرائيليون أن هؤلاء العمال يبنون قواعد خاصة لصوارخ (سام) ، وصدرت الأوامر لسلاح الطيران الإسرائيلي بقصف هذه الأهداف ،

وكان رجال الدفاع الجوي يشعرون بمسئولية كبيرة فقد كان عليهم أن ينتهوا سريعا من هذه التجهيزات ويوفروا الحماية للعمال الأبرياء الذين يقومون بعملهم في بناء تلك التجهيزات وصمد هؤلاء الرجال جميعا وواصلوا عملهم في ظروف صعبة واصلت فيها طائرات العدو هجماتها نهارا وليلاً مستعينين بمشاعل الإضاءة ووسائل التنشين الألكترونية ..

وبعد إنشاء النطاق الأول من حائط الصواريخ كان قد تقرر إنشاء ثلاثة نطاقات جديدة تمتد إلى منتصف المسافة بين القاهرة والجبهة ، ووضعت قيادة الدفاع الجوي خطة جريئة يجري تنفيذها على مدى ليلتين فقط حيث يتم خلالها إنشاء التحصينات اللازمة لعشرات من مواقع الصواريخ من طراز (سام . 2) و(سام . 3) وتجهيز مراكز قيادتها بأجهزة الاتصال المختلفة



علاوة على تمهيد الطرق والمدقات الموصلة إليها ، ثم تحريك بطاريات الصواريخ لتحتل مواقعها جنبا إلى جنب مع الوسائل المباشرة للدفاع المضاد للطائرات ووسائل الإنذار المختلفة وبعد ذلك كله الدفع بمجموعات من مهندسي الألكترونيات لضبط واختيار وتجهيز المعدات الفنية لكي تكون جاهزة للقتال في خلال ساعات قليلة من احتلال مواقعها الجديدة وإلا أصبحت فريسة سهلة للطيران الإسرائيلي ..

عمال البناء .. عطاء مستمر وشجاعة مذهلة :

وطوال هذه الفترة كان السلاح الجوي الإسرائيلي يكثّف غاراته على الجبهة المصرية بصورة لم تحدث من قبل ، ولو حسبنا كمية القنابل التي أُسقطت على رؤوس العمال أثناء بناء دشم الطائرات والصواريخ المصرية وجد أنها تساوي نصف قنبلة ذريَّة مثل تلك التي أُسقطت على "هيروشيما" التي أفزعت العالم .. لكن الإنسان المصري الصامد راح يحمل قصعته على رأسه يحتمي بها من الشظايا المتناثرة هنا وهناك .. وهو يمدَّها إلى أخيه العامل ليكمل الصرح العظيم الذي قال عنه العدو أنه من أبرز الإنشاءات الحديثة .. وتحمل عامل البناء المصري وطأة قنابل النابلم ووابل قذائف الألف رطل ورشاشات الطائرات الإسرائيلية على مناطق العمل في فترة الاستزاف ، وكان عمال البناء يواصلون العمل ليل نهار كلٌّ في عمله دون خوف أو فزع ، ويقول المسئول السياسي الذي كان يتابع عمال البناء في وصفه لفترة معايشته لهم : "

شاهدتُ عامل بناء يحمل قصعته بيدٍ ويدفن شهدائه باليد الأخرى .. شاهدتُ أقارب كل شهيد من عمال البناء يتزاحمون ليحلوا محل شهدائهم في نفس الموقع ليكملوا عملهم حتى لا يتأخر التنفيذ ..

شاهتُ عمال البناء يفضلون تحمُّل العطش لتوفير المياه اللازمة للعمل في الخرسانة .. شاهدتَ عمال البناء وهم يقولون : نحن نبني القواعد لنفتدي الطيارين المصريين " ، وكانت تعليمات قائد الدفاع الجوي أن يتم العمل في إقامة القواعد ليلاً وفي ستر الظلام خوفًا على هؤلاء العمال إلا أن عمال البناء أصروا على الاستمرار في العمل ليل نهار حتى يتم إنجاز العمل قبل موعده المحدد .

انتصار الإرادة المصرية :

وكان رجال الدفاع الجوي قد تدربوا على استخدام الصواريخ ومعداتها التي بدأنا العمل بها منذ عام 1963م ، وبدأت قواتنا منذ أول يونيو عام 1970م تتبع أسلوب كمائن الصواريخ ، وكان رجال الصواريخ يبذلون جهدهم كله في خداع العدو ، فكانوا يجهزون مواقع الصواريخ بسرعة كبيرة بشكائر الرمل والصواريخ الهيكلية ثم يشتبكون مع طائرات العدو في أماكن لم يكن يحلم بوجوده فيها ..إلى أن تم بالفعل إنجاز هذا العمل العظيم في 30 يونيو عام 1970م ، حيث تم الانتهاء من تنفيذ جميع مراحل الخطة المصرية الطموحة واصتدمت الطائرات الإسرائيلية بقوات الدفاع الجوي المصري لتتكبد خسائر لم تكن تتوقعها ، ويصف "زئيف شيف" المراسل الإسرائيلي ذلك اليوم قائلاً : " سوف يذكر هذا اليوم 30 / 6 / 1970م والليلة التي سبقته لفترة طويلة في تاريخ النزاع العربي الإسرائيلي كأحد التواريخ بالغة الأهمية ، ففي تلك الليلة تمت عملية إدخال الصواريخ إلى الشبكة الجديدة على جبهة القناة ، حيث أُدخلت خلال ليلة واحدة عشر كتائب صواريخ إلى قطاع عمقه 30 كم ، وفي الليلة التالية أُدخلت خمس كتائب أخرى ، وفي صباح يوم 30 يونيو عام 1970م ،

وبدأ الصدام بين الطائرات الإسرائيلية والصواريخ المصرية ، وفي ساعات الصباح الباكر أُطلقت الصواريخ الأولى في التشكيل الجديد في اتجاه الطائرات الإسرائيلية المغيرة لتقوم بمهمتها على الجبهة المصرية ، وخلال فترة وجيزة اتضحت الصورة لقيادة سلاح الطيران الإسرائيلي لتعلم أن المصريين قد نجحوا في إدخال عددٍ من كتائب الصواريخ إلى القطاع الواقع بين الإسماعيلية والسويس في منتصف الطريق بين القاهرة والقناة .. وقررت القيادة الإسرائيلية الرد بسرعة حتى لا يتمكن المصريون من التمركز وتكوين ركيزة قوية لهم ، وفي ساعات ما بعد الظهر خرج سلاح الطيران الإسرائيلي ليهاجم بطاريات الصواريخ الجديدة ، ومنذ اللحظة الأولى ميَّز الطيارون الإسرائيليون أن أسلوب إطلاق النيران قد تغيَّر فقد انطلقت نحوهم عشرات الصواريخ بخلاف الصواريخ الصغيرة التي كانت تنطلق من فوق أكتاف الجنود ، وسقطت أول طائرة فانتوم (إف . 4) ثم تلتها أخرى مثلها ، واحتفل المصريون بانتصارهم بينما كان الذهول في إسرائيل عظيما . ويصف "زئيف شيف" ذلك قائلاً : " وفي 5 يوليو 1970م اتضحت الصورة تماما وأُسقطت طائرة فانتوم أخرى يقودها الطيار "عاموس زمير" ،

وفي السبت 18 يوليو 1970م خرج سلاح الطيران الإسرائيلي بهجوم شامل على شبكة الصواريخ المصرية ، وأُصيبت بعض بطاريات الصواريخ المصرية ، ولكن إسرائيل دفعت ثمناً غالياً مرة أخرى إذ فقدت واحداً من أحسن طياريها ويدعى "شموئيل جيتس" .. " . وبذلك استطاع رجال الدفاع الجوي المصري أن يحققوا نصراً ساحقًا على الطيران الإسرائيلي ويفرضوا إرادتهم على هذا السلاح وأصبحت قواتنا تستطيع أن تتقدم تحت مظلة الدفاع الجوي القوية إلى أي مكان بينما كانت إسرائيل لا تزال تعيش في أحلامها الكاذبة المزعومة ويعللون تساقط طائراتهم أمام دفاعنا الجوي الرادع لا لشيء إلا بالوجود العسكري السوفيتي ، وروجوا لذلك في مختلف أنحاء العالم حتى جاء قرار الرئيس السادات بإنهاء عمل المستشارين العسكريين السوفيت في مصر للقضاء على هذه الذريعة ، فلما حاولت طائرات العدو التحليق في سمائنا فيما بعد فترة وقف إطلاق النار وحرب أكتوبر ، كانت تتساقط طائراتهم ولم تغن عنهم أجهزة الإعاقة الألكترونية الحديثة التي حصلوا عليها من الولايات المتحدة الأمريكية ، ففي التاسع من شهر سبتمبر 1971 م وبناء على تكليف قوات الدفاع الجوي بمنع العدو من استطلاع القوات المصرية تم تنفيذ العملية (رجب)

حيث أُسقطت طائرة استطلاع ضخمـة شرق القناة ، واحتجت إسرائيل على عملية إسقاط الطائرة التـي أفقدتها مجموعة من خيرة طياريها وفنييها ، وردًّا على هذه العملية قامت إسرائيل بهجمة جوية بقوة 34 طائرة تحمل كل منها صاروخين من طراز (شرايك) المضادة للرادارات ، وتم إطلاق الصواريخ الثمانية والستين على مواقع الدفاع الجوي المصري غرب القناة ، وأعلنت إسرائيل أنها دمَّرت قوات الدفاع الجوي في الجبهة ، لكن كانت الخسائر المصرية طفيفة ولم تحدث أية خسائر في الأفراد والمعدات ؛ لأن كثير من المواقع كان هيكليا وكان نقل المواقع يتم بصورة مستمرة في تمويه غير مسبوق طوال هذه الفترة ، وقد خرجت "جولدا مائير" رئيسة وزراء إسرائيل فيما بين حربي 67 و73 بتصريح تناقلته وكالات الأنباء قالت فيه : " إن كتائب الصواريخ المصرية تشبه عيش الغراب كلما دمرنا إحداها نبت بديلاً لها ، لقد زرع المصريون كل الأرض غرب القناة بالصواريخ ، والله وحده يعلم أين يجد المصريون مكانًا لزراعة أعدادا أخرى منها بالمنطقة " ،

ولم تدر "جولدا مائير" أنها كانت بذلك تشهد بكفاءة نجاح خطة الخداع والتمويه التي اتبعتها قوات الدفاع الجوي المصري في بناء هذا الحائط .. واستمر البطل محمد علي فهمي في أعمال التطوير والإعداد لحائط الصواريخ وفي وقت قياسي تأسس سلاح الدفاع الجوي الذي لعب دورا حاسما في معارك أكتوبر 1973 م واستطاع أن يقضي على أسطورة التفوق الجوي الإسرائيلي وأُطلق ع لى سلاح الدفاع الجوي المصري (حارسة السماء المحرقة) ، ويقول "حاييم هيرتزوج" الرئيس الإسرائيلي الأسبق في كتابه "الجولات العربية الإسرائيلية" : " لم يكن إنشاء حائط الصواريخ المصري في عام 1970م يفرض حلاً لمشكلة المصريين في حماية قواتهم غرب القناة فحسب ، وإنم ا كان تحولاً استراتيجيا لم نفهم معناه إلا بعد ثلاث سنوات في حرب أكتوبر 1973 م " .

إعداد مقاتل الدفاع الجوي :

وكما حرص قائد سلاح الدفاع الجوي والقيادة العليا بالقوات المسلحة على تجهيز هذا السلاح بأحدث وسائل العلم ، حرصت كذلك على إعداد الأفراد القائمين عليه أفضل إعداد من الناحية العلمية والنفسية والجسمانية والإيمانية لإنتاج أفراد على درجة عالية من الأداء وقد صقلت هذه الخصائص بالتدريب المستمر على الجبهة أيام معارك الاستنزاف ، لقد كان اللواء / محمد علي فهمي يعلم جيداً عظمة جندي الدفاع الجوي فكان يقول : " إن السلاح السري الذي استخدمته قوات الدفاع الجوي في حرب أكتوبر هو مقاتل الدفاع الجوي " ، وقد حدد هذا القائد الفذ سمات البطولة في هذا المقاتل في ثلاث ضروريات :

أولاً : **الدفاع الجوي نوعٌ راقٍ من الفدائية :**

ففي مواجهة عشرات من الأطنان من شتى أنواع أسلحة التدمير التي تسقطها طائرات العدو الإسرائيلي على قواتنا وبالأخص قوات الدفاع الجوي في دقائق . بل في ثوانٍ . لذا فالأمر يحتج إلى شجاعة تصل في معظم الأحيان إلى نوع من الفدائية والتضحية في سبيل حماية المنشآت والمعدات .. فقد بلغ من شجاعة رجال الدفاع الجوي ما قاله الرئيس السادات في وصف أبطال المدفعية المضادة للطائرات : " لم يترك إنسان موقعه .. بل الأروع من هذا أن رجال الدفاع الجوي لم يتركوا مدافعهم أبداً فقد استمروا في مواقعهم خلف مدافعهم .. وكان أروع ما يسجل من البطولات أنه بعد أن تنتهي الغارة نجد الجندي محروقًا على مدفعه وهو محتضنه لا يتركه .. إذا احترق المدفع احترق هو معه " .

فلا شك أن أقوي أسلحة رجال الدفاع الجوي المصري هو الإيمان بالله ، فالمقاتل المصري دائما يتسلح بإيمان قوي في مواجهة هجمات طائرات العدو الإسرائيلي الشرسة التي تصب فوق رؤوسهم النيران ، وهذا الإيمان يمده بطاقة هائلة يستطيع أن يصمد بواسطتها ليل نهار ويكون في حالة استعداد دائم للقتال سواء في الحرب

أو في السلم ..فهو في رباط مستمر يؤدي دوره ويوقن بفضل الله تعالي عليه وإكرامه له وذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه ". [1] وقوله صلى الله

---

(١) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني .

عليه وسلم : " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأُجري عليه رزقه ، وأمن الفُتَّان . أي فتنة الملكين : منكر ونكير في القبر ".[1] فلقد كانت وحدات المراقبة بالنظر يتناوب فيها رجال الدفاع الجوي لرصد أية طائرة معادية بالعين المجردة أو بنظارة الميدان تنتشر في أنساق وسياجات متعددة تغطي كل رقعة من الأراضي المصرية في مناطق أغلبها موحش في البقاع

النائية فوق الجبال وفي الصحاري حيث يربض هؤلاء الرجال في مواقعهم ليل نهار أياما وشهورا يتطلعون إلى السماء يمعنون النظر ويراقبون بحثًا عن طائرات للعدو ليس عليهم رقيب إلا ضمائرهم وروحا معنوية لا تعرف اليأس ولوحة صغيرة علقوها في كل مكان من مواقعهم كتبوا عليها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عينان لا تمسهما النار ..

عينٌ باتت تحرس في سبيل الله ".[2] ، وقال الإمام المناوي في شرح الحديث : " اختلف هل الأفضل الجهاد أم الرباط ؟ قال : وتدل الأحاديث أن الرباط أفضل لأنه جعله الغاية التي ينتهي إليها أعمال البر ، والرباط يحقن دماء المسلمين ، والجهاد يسفك دماء المشركين ، فانظر ما بين الدمين حتى يصح لك أفضل العملين " [3] . وقال أيضًا : " الرباط شعبة من

---

(1) رواه مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي في سننيهما .

(2) رواه الترمذي في سننه ، وصححه الألباني والسيوطي .

(3) فيض القدير للمناوي (4 / 14) .

الجهاد وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر ، فقد شرع الجهاد لسفك دماء المشركين ، وشرع الرباط لصون دماء المسلمين وصون دمائهم أحب إلي من سفك دماء أولئك وهذا يدل على أنه مفضَّل على الجهاد " [1] . وأسلوب المراقبة بالنظر يستخدم جنبا إلى جنب مع استخدام الرادارات تجنبا لأية مفاجأة يمكن أن تحدث نتيجة لعجز شبكة الرادار عن رصد طائرات العدو إذا اتبعت أسلوب الاقتراب الشديد من الأرض أو استخدامها لوسائل التشويش المتقدمة على أجهزة الرادار ، ولم يحدث أن اقتحمت أية طائرة إسرائيلية مجالنا الجوي إلا وقامت وحدات المراقبة برصدها والإبلاغ عنها ، وكان هذا الأسلوب فعالاً لدرجة لا تُوصف حتى أن "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي وقت الحرب وعد طياريه أثناء معارك الاستنزاف بأنه سيدمر للمصريين هذا الحزام الأسود . يقصد حزام نقط المراقبة بالنظر . ذلك الحزام الذي قضى على أي أمل للطياريين الإسرائيلين أن يتوغلوا داخل أراضينا ويفلتوا من العقاب ..

وقد نجح نظام المراقبة بالنظر في مصر نجاحا ساحقًا حيث وصلت بلاغات هذه الشبكة إلى آلاف الطائرات المعادية خلال الفترة التي استغرقتها عمليات حرب أكتوبر 73 وما قبلها ، وقد حققت هذه الوسيلة نتائج أخرى لا تقل أهمية عن دورها الرئيس في رصد طائرات العدو وهي :

. التبليغ عن عدد وأنواع الطائرات المعادية التي يتم تدميرها وتحديد أماكن سقوطها حتى لا يخدعنا العدو في ذلك .

---

(1) فيض القدير للمناوي (6 / 134) .

. التبليغ عن الطيارين الإسرائيليين الذين يتمكنوا من القفز بالبراشوت عقب إصابة طائراتهم وذلك بجانب تحديد أماكن هبوطهم والاشتراك في أسراهم .

ثانياً : التدريب العنيف المركز :

لقد كانت شجاعة مقاتل الدفاع الجوي وقدرته الفنية والعسكرية التي نمَّاها التدريب العنيف المركـز ، هو السلاح السري الحقيقي الذي واجهته القوات الجويـة الإسرائيلية في حرب أكتوبر 73 والذي لم تستطع أجهزة إسرائيل والأجهزة الأمريكية الحديثة أن تتنبأ به الحرب .

لقد حاول العدو الإسرائيلي أن يقلل من كفاءة رجالنا من أبناء الدفاع الجوي فعزوا خسائرهم المؤلمة إلى إسراف رجالنا في استخدام الصواريخ على حساب الجانب الاقتصادي للمعركة وأننا كنا نفتقر إلى الخبرة الفنية التكنولوجية ، والحقيقة كما يشهد بها الطيارون الإسرائيليون الأسرى أننا كنا نستخدم أقل عدد من الصواريخ في إسقاط طائراتهم ، لقد كان الرجال يطلقون صاروخًا واحدًا ثقةً في قدرتهم وحرصا على توفير ذخيرتهم ، وقد جعلوا نصب أعينهم قوله تعالى : (. . وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى . .) (الأنفال: 17) حيث كانت ذخيرتهم من الإيمان بالله لا تقل عن خبراتهم الطويلة التي اكتسبوها في القتال ، كما ظهرت عبقرية المقاتل المصري الذي تفتق عن عشرات من الأساليب المبتكرة في الحرب

ومن هذه الحيل التي لجأت قوات الدفاع الجوي المصري إليها لتلافي حدوث أية مفاجآت تحدث نتيجة قصور مفاجئ للرادارات وأجهزة الإنذار في رصد طائرات العدو أن قمنا بنشر أعداد كبيرة من البالونات الضخمة فوق قواعدنا الجوية في حرب 73 وكانت كل بالونة منها مشدودة إلى الأرض بحبل متين من الصلب لا يستطيع أي طيار رؤيته من أعلى حتى وإن حركت الرياح هذه البالونات ، فكان الطيارون الإسرائيليون يحجمون عن الطيران المنخفض خوفًا من الارتطام بهذه الحبال القادرة على تمزيق أية طائرة وتدميرها وأثناء ذلك تنصبُّ عليهم نيران مختلف عناصر الدفاع الجوي ، وقد حدث أن تجرأ أحد الطيارين الإسرائيليين أثناء مهاجمة إحدى قواعدنا الجوية يوم 11 أكتوبر 1973م على الانقضاض على ذلك الموقع فإذ به يرتطم بالحبال القاتلة وتنشطر طائرته نصفين في الجو ..

ثالثاً : استخدام تكنولوجيا العصر :

ففي مواجهة الطائرات الأسرع من الصوت والتي تطير على ارتفاعات تتراوح بين 50 م إلى عشرات الكيلومترات لابد من استخدام المعدات الألكترونية المتطورة بكميات كبيرة ، وهذا يحتاج إلى خبرات فنية متخصصة على درجة عالية من التدريب لتستطيع التعامل مع هذه الأجهزة المتطورة . فقد فُوجئت طائرات العدو وهي تغير على أهدافنا على الجبهة بغلالتين : غلالة فعَّالة مرئية من نيران عناصر الدفاع الجوي المختلفة ،

وغلالة أخرى غير مرئية من الإجراءات الألكترونية المضادة لإعاقة عمل الأجهزة الألكترونية المختلفة التي تحملها طائراته الأمر الذي كان يجعل الطيار الإسرائيلي قابعا داخل طائرته محتارا وبدلاً من أن يذهلونا بما لديهم من تكنولوجيا حدث أن أذهلهم رجالنا بخبرتهم في هذا المجال

وإتقان رجالنا لمختلف وسائل وأساليب هذه الحرب المتقدمة ، ومما يثبت كفاءة المقاتل المصري وقدرته على استيعاب أحدث الأسلحة التكنولوجية الحديثة أن الخبراء الروس قالوا أن الصاروخ المضاد للآليات

يحتاج إلى 100 ثانية على الأقل لإصابة الهدف في حين قالوا أن الجندي المصري يحتاج إلى عشرات السنين لتعليمه ، ولكن الجندي المصري استطاع أن يختصر هذه المدة إلى 40 ثانية فقط ، وقد برهنت حرب أكتوبر 73 على عبقرية المقاتل المصري وقدرته على استخدام أحدث الأسلحة المعاصرة ، وقد ذكر

الطيار الإسرائيلي "روبرت هوتز" أشهر من تولّى منصب رئيس تحرير مجلة "أفييشن ويك" [(1)] الأمريكية في سلسلة مقالات صدرت له بعد حرب أكتوبر بسنوات قال فيها : " لقد كانت حرب أكتوبر هي أول حرب ألكترونية

وأرقى حرب في التاريخ منحيث الدرجة الفنية والأساليب العلمية التي استخدمت فيها " ، وأضاف قائلاً : " إن الدوائر الأجنبية أجمعت على أن المصريين يتمتعون بمهارة مرموقة في مجال الألكترونيات هذا الحقل المعقد الذي كان له تأثير السحر في مختلف أفرع العلوم المدنية والعسكرية " ، ويقول الستاذ محمد عبد المنعم صاحب كتاب " 6 أكتوبر الحرب الألكترونية الأولى " : " تعتبر حرب أكتوبر 73 هي أول حرب ألكترونية في التاريخ ،

---

(1) أكبر مجلة متخصصة في عالم الفضاء والطيران وتعتبر حجة في كل الأمور المتعلقة بالطيران والطائرات والصواريخ والألكترونيات سواء في مجال الااستخدامات السلمية أو العسكرية في السبعينات من القرن العشرين .

ويذكر لماذا فيقول : صحيح إن الألكترونيات استخدمت بواسطة السوفييت عندما اقتحموا الأراضي التشيكوسلفاكية واستطاعوا بواسطة الوسائل الألكترونية أن يشلوا تماما شبكة الإنذار لحلف شمال الأطلنطي ، وحققوا مفاجأة تامة للجميع بعد أن نجحوا في تعمية جميع أجهزة الرادار والاستطلاع المحيطة بهم .. وصحيح أيضًا أن الأمريكيين استخدموا أساليب مختلفة للحرب الألكترونية أثناء القتال الدامي في فيتنام ، ولكن في كلتا الحالتين فإن استخدام أساليب الحرب الحديثة الألكترونية كان من جانب واحد أما في حرب أكتوبر فقد اشترك جانبا الصراع في هذه المباراة العلمية المعقدة ، فكانت هناك إجراءات ألكترونية من جانب وإجراءات مضادة من

الجانب الآخر استخدمت في ذلك وسائل وأساليب لم تكن الولايات المتحدة نفسها قد استخدمتها بعد ، ما زال معظمها في طي الكتمان ، ومن هنا كانت حرب أكتوبر 73 هي أول حرب ألكترونية بالمعنى الصحيح " . ولأن سلاح الجو كان أقوى أسلحة العدو الإسرائيلي فقد انعكست مجهوداتنا بصورة واضحة في مجال الفاع الجوي فهو الجهاز المكلف بشل فاعلية الطيران الإسرائيلي وحمايتنا جميعا مدنيين وعسكريين من أخطاره .

وكان "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي يتفاخر بإمكانيات جيشه الألكترونية يقول وكله زهو وكبرياء في عام 1970 م : " إن الصيف القادم سيكون صيفًا ألكترونيًا ساخنًا .. " ، فقد كان حديثه الذي كاد أن يكشف فيه أوراقه وهو واثق كل الثقة أن المصريين والعرب لن يلمُّوا بقواعد اللعبة الصعبة مهما أوتوا من المعرفة ؛ فهم متأخرون سنوات طويلة في هذا المجال .. وبكل تواضع وثقة أجاب الرئيس المصري السادات في إحدى خطبه : " لقد كُتبت علينا أول حرب ألكترونية في التاريخ ونحن نستعد لها" وبالفعل كان رجالنا يقتحمون آفاق هذا المجهول بجهدٍ ومثابرة وسرية تامة يلمُّون بجميع خيوط اللعبة ويتقنون استخدام وسائل العلم والتكنولوجيا

بصورة أذهلت القيادة الإسرائيلية ، وهذا ما أعرب عنه المعلق العسكري لإذاعة إسرائيل العبرية يوم القتال قال فيها : " إن القوات الإسرائيلية وجدت نفسها فجأة أمام قوة اجتياح مصرية هائلة مجهزة بأحدث أنواع السلاح " .

استعدادات الدفاع الجوي لحرب أكتوبر 1973م :

وبلغت قوات الدفاع الجوي ذروة اكتمالها وقمة تسليحها لتواجه العدو الإسرائيلي في حرب أكتوبر المجيدة ن وكانت تتكون من :

- 1 فرقة دفاع جوي .
- 22 قيادة لواء صواريخ .
- 135 كتيبة نيران .
- 17 فوج مدفعية مضادة للطائرات .
- 28 كتيبة مدفعية مضاة للطائرات .
- 5 كتائب صواريخ محمولة على الكتف طراز (S . A . M .) .
- 7 فوج رادار .
- 20 كتيبة رادار .

- 20 فوج مدفعية مضادة للطائرات (تابعة لقيادات الجيوش والمناطق والفرق) .
- 3 كتائب مدفعية مضاة للطائرات (تابعة للواءات المشاة والمشاة الآلية والمدرعة) .

بالإضافة إلى عدد من وحدات المراقبة بالنظر .

وأوشكت المعركة وتشكّل في قيادة الدفاع الجوي جهاز خاص للعملية الهجومية وبدأ هذا الجهاز بالتنسيق مع باقي أجهزة التخطيط في القياة العامة للقوات المسلحة ، وقام هذا الجهاز بإجراء التقديرات والدراسات التي تكفل للخطة نجاحها المنشود ، وهو حرمان العدو من تفوقه الجوي ، وتحييد هذه القوة الساحقة في مسرح القتال ، وكان هناك عددٌ من الحقائق لابد أن تُوضع في الاعتبار أساسا لضمان واقعية التخطيط ونجاح عملية العبور وتحقيق الانتصار في حرب 73 وهي :

1 . أن قوات الدفاع الجوي المصري ستتحمل العبء الكبر في المعركة لأن القوات الجوية الإ سرائيلية متفوقة على نظيرتها المصرية كما أن قوات السلاح الجوي المصري يمتلك طائرات قصيرة المدى لا تستطيع ضرب مطارات العدو وطائراته الرابضة عليه لذلك تُوكل هذه المهمة للدفاع الجوي ، كما كان للقوات المصرية دور مؤثر

كذلك لصالح الدفاع الجوي المصري حيث قامت بضرب مراكز الإعاقة الأرضية الإسرائيلية الموجوة بأم خشيب مما خفف من وطأة الإعاقة الألكترونية على الدفاع الجوي المصري في أيام القتال الأولى في حرب أكتوبر 1973م .

2 . مواجهة التحدي المتمثل في اتساع مسرح العمليات وذلك بوضع خطة متوازنة تحقق حماية الأهداف الحيوية بالعمق والكثافة المناسبة مع تحقيق التركيز المطلوب في جبة القناة ، كما تم تنظيم التعاون مع القوات الجوية لحماية المناطق والأهداف التي لا يتوافر لها عناصر دفاع جوية قوية .

3 . حسم نتائج المعركة الرئيسة مع القوات الجوية الإسرائيلية في منطقة القناة في الساعات وا لأيام الأولى يعتبر أمرا مصيريا للقوات المسلحة ، على هذا فقد راعت الخطة تدعيم الجيوش الميدانية بأكبر قدر ممكن من وسائل الدفاع الجوي خفيفة الحركة على أن يتم استعراض خسائرها أول بأول .

4 . يجب أن تكون قوات الدفاع الجوي جاهزة لصد ضربات العدو المعادية ثم تتحول بسرعة إلى الأوضاع اللازمة لتحقيق مهمتها الرئيسة في وقاية القوات البرية أثناء العملية الهجومية .

5 . سيحاول العدو بكل الطرق تدمير عناصر الدفاع الجوي بالجبهة أو إسكاتها باستخدام كل الوسائل الألكترونية والتكتيكية والنيرانية وعلى قوات الدفاع الجوي أن تخرج من هذا المأزق وتتصدى لها بقوة .

6 . حجم عناصر الدفاع الجوي المتحركة ذات الفاعلية غير كافٍ لتغطية القوات المصرية في المرحلة النهائية للعملية وقد راعت الخطة القضاء السريع على كثير من قوة السلاح الجوي الإسرائيلي إلى الدرجة التي تكفي فيها عناصر الدفاع الجوي المتحركة .

وبناء على دراسة هذه الحقائق وضعت قيادة الدفاع الجوي خطتها في حرب أكتوبر 73 لتشمل النقاط الآتية :

1 . مواجهة الهجمات الجوية المعادية والمتوقعة خلال الفترة التحضيرية بتجمعات قوية ومتماسكة ومتكاملة من مختلف عناصر الدفاع الجوي طبقًا للخطة الموضوعة .

2 . عدم إجراء أية مناورة بقوات ووسائل الدفاع الجوي إلا في آخر وقت ممكن قبل بدء العملية .

3 . تطبيق مبدأ الحشد في اتجاه المجهود الرئيس باستخدام 100% من عناصرالدفاع الجوي المتحركة في النسق الأول للدفاع الجوي بالجبهة ، و40% من الصواريخ المضادة للطائرات ، و70% من وحدات المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ (سام . 7) .

4 . المحافظة على سرية ترددات الأسلحة الجديدة ومنع إشعاعها إلا مع بدء المعركة .

5 . التركيز الشديد على حماية المعابر بحيث تتوافر حماية لكل معبر بقدوة صدٍ لا تقل عن 12 هدفًا في وقتٍ واحد طوال العملية .

6 . انتقال وحدات الصواريخ في المرحلة الأولى إلى مواقع متقدمة غرب القناة تحقق وقاية للقوات شرق القناة وحتى عمق 15 كم على الارتفاعات المنخفضة .

7 . انتقال 60 % من وحدات الصواريخ بالجبهة إلى مواقع شرق القناة خلف الأنساق الثانية للجيوش الميدانية عند دفعها لتنفيذ المرحلة النهائية .

8 . الاحتفاظ باحتياطي قوي من عناصر الصواريخ المضادة للطائرات يبلغ نحو 15% يمكن له تدعيم الدفاع بالصواريخ على الجبهة في خلال ست ساعات ، بالإضافة إلى احتياطي بعيد يشترك في القتال خلال 24 . 48 ساعة .

9 . إنشاء حقل راداري مستتر في الأماكن التي يحتمل فيها ضعف عمل الحقل الأصلي .

10 . توفير جميع عناصر الصمود لنظام الدفاع الجوي بالجبهة مع السيطرة الكاملة على الإشعاع لمنع العدو من استخدام أسلحته المضاة .

11 . تحقيق تعاون وثيق مع القوات الجوية بتوفير الدفاع عن المطارات المتقدمة عند احتلالها ، والسيطرة على أعمال قتال المقاتلات من مراكز مشتركة .

ووقف قائد الدفاع الجوي اللواء / محمد علي فهمي ومعه رجاله ، قبل المعركة في صمت وصبر وترقب للحظة انطلاق الشرارة الأولى وقد وضعوا نصب أعينهم التحديات الآتية :

1 . تشكيلات القوات المسلحة ستعبر أكبر مانع مائي أمام خط بارليف الحصين وفي مواجهة سلاح الجو الإسرائيلي الذي يفاخر به العالم ، وكان يعلم جيداَ أن نجاح العبور يتوقف على تأمين عبور هذه القوات من هجوم الطيران المعادي .

2 . إخفاء حجم وحدات الصواريخ وأماكن تمركزها يعتبر أمرا مستحيلاً مع التطور الهائل في وسائل الاستطلاع .. خاصةً وأن الولايات المتحدة الأمريكية قد أطلقت قمرا صناعيا (ساموس Samos) لدراسة الموقف في الشرق الأوسط .

3 . نوعية السلاح والمعدات التي يستخدمها لم تعد سرا بعد نشر خواصها كل يوم في المجلات والكتب بالإضافة إلى وسائل الاستطلاع المتعددة الأخرى .

4 . عنصر الزمن الذي يواجه مقاتل الدفاع الجوي في اتخاذ القرار ، ففي معارك الصواريخ يمكن أن يكون للزمن ولو كان واحد على جزء من الثانية في الألف له قيمته وله حسابه لأنها معارك ومضات ألكترونية .

5 . الرجل الموجِّه الذي يعطي إشارة الاشتباك بحزم وفي الوقت المضبوط وهو أقرب إلى العالم الألكتروني الملم بكل علوم الرياضيات البحتة والهندسة والألكترونيات .. المتطلع إلى كل جديد بالفكر التطبيقي

حرب أكتوبر 1973م :

وقبل ظهر يوم 6 أكتوبر 1973 م بقليل فوق مياه البحر المتوسط أمام الساحل المصري طائرة استطلاع ألكترونية معادية قد تكون إسرائيلية لكنها على الأرجح أمريكية وهي طائرة كبيرة الحجم متوسطة السرعة ظلت تجوب سواحلنا الشمالية من سيدي عبد الرحمن إلى بورسعيد جيئة وذهابا بعمق 20 كم في البحر .. أسئلة كثيرة أثارتها هذه الطائرة خاصة أننا كنا نراها كلما توتر الموقف بيننا وبين إسرائيل وقد ظهرت أيضًا قبيل حرب يونيو 67 بنفس السرعة ونفس الارتفاع وفي نفس الموقع كانت تلتقط جميع موجات الرادار والاتصالات اللاسلكية داخل أراضينا .. ويمثل هذا النوع من التجسس خطرا شديداَ على أي جيش لما قد يسببه من الارتباك والفوضى بين صفوفه ، وقد رصدها اللواء / محمد علي فهمي قائد الدفاع الجوي وأبلغ الفريق أحمد إسماعيل القائد العام للقوات المسلحة بأمر الطائرة المعادية ، وفي الحال بدأ بتجهيز طلعة خاصة من مقاتلاتنا الاعتراضية لاعتراض طائرة الاستطلاع المعادية وتدميرها بأية وسيلة وبعد أن تم إعداد خطة تدميرها

وأعط يت الإشارة لمحطة التوجيه وأُرسل الأمر للطياريين وإذ بالطائرة المشئومة وبغير سابق إنذار تكف عن عمليات الاستطلاع وتقطع خط سيرها متجهة إلى الشمال . ووقف قائد الدفاع الجوي ينتظر بصبر نافذ انطلاق الشرارة الأولى لبدء القتال ، وكان تحديد عنصر الوقت سرًّا أخبرت به القيادات حسب تدرجها وتسلسلها ، وعلم القائد محمد علي فهمي بساعة الصفر في توقيته المحدد بلا شك فإن السرية هي أهم عوامل النصر وكان لزاما على القوات المسلحة أن تجعل استعداداتها الفعلية للقتال وكأنها عملية تدريب روتينية ، وظهرت هنا قدرة اللواء / محمد علي فهمي قائد قوات الدفاع الجوي حيث قام بإجراءات صارمة لفرض هذه السرية على العملية التي صارت قاب قوسين أو أدنى ، وقام بحجب الهجوم الجوي عن سلاحه ومنع تسرب أبناء الضربة الجوية الأولى عن سلاحه ومنع تسرب أنباء هذه الضربة قبل إنجازها ، وكان قائد الدفاع الجوي يعلم أن الدفاع الجوي من الأسلحة التي يجب التعامل معها بحذر وجب التعمية عليها لأنه حتما سيشعر ببدء الهجوم الجوي لأنه السلاح المضاد له ،

ومع إشارة البدء نفّذ خطته حتى أن الطياريين المصريين نفّذوا الضربة الجوية الأولى ضد أهداف العدو الحيوية في سيناء وعادوا إلى مطاراتهم دون أن يعلم الإداريون والفنيون في هذه المطارات والذين قاموا بأنفسهم بإعداد تلك الطائرات قبل الإقلاع أن الحرب قد بدأت بالفعل .. وانطلقت طائراتنا المصرية المقاتلة والقاذفات المقاتلة في الساعة الثانية بعد الظهر من مطاراتها دونما أية نداءات أو أحاديث لاسلكية بين الطيارين أو مراكز القيادات الأرضية ، وبدأت تشكيلاتنا الجوية تحلق متجهة إلى سيناء بسرعات محددة وبارتفاعات منخفضة فوق سطح الأرض بأمتار قليلة فيما يعرف بأسلوب الفئران (Rats Method) وذلك لتفادي شبكات الرادار الإسرائيلية ، فضربت مطارات العدو ثم مراكز الإعاقة والشوشرة والتوجيه الألكتروني ومراكز قيادات العدو داخل سيناء في "أم خشيب" و"الطاسة" و"تل الفضة"

وكلها مواقع حيوية تضم أجهزة ألكترونية معقدة ، وقد أحدثت الضربة الجوية ما يسمى فنيًّا بتمزيق شبكة الدفاع الجوي الإسرائيلية فانخفضت فاعليتها برجة كبيرة أصبحت في حاجة لأجهزة جديدة بدلاً من الأجهزة المدمرة والمعطلة ،

وكانت قواتنا تواصل ضرب أهدافنها ولم تسمح للعدو بإصلاحها أو استخدام غيرها .. وعندما أبلغ أحد أفراد الدفاع الجوي أن بعض طائراتنا قد دخلت بالفعل إلى سيناء ، ردَّ عليه قائد الدفاع الجوي ضاحكًا أن هناك **200** طائرة مصرية تضرب أهداف العدو في سيناء منذ **30** دقيقة ، ثم أضاف الرجل بهدوء : " الآن يجيئ دورنا ، ستثور ثائرة السلاح الجوي الإسرائيلي وعلى قدر ما ننزل به من خسائر يتوقف نجاح العملية كلها " . وكان إجمالي عدد طائرات القوات الجوية الإسرائيلية **777** طائرة منها **457** طائرة مقاتلة ومقاتلة قاذفة في حين كانت الطائرات المصرية يبلغ عددها **522** طائرة منها **398** مقاتلة ومقاتلة قاذفة وقاذفة .

وبالفعل فقد هاجم العدو الإسرائيلي بطائراته في محاولة لإيقاف موجات العبور الكاسحة .. ويقول اللواء / محمد علي فهمي : " سيطرنا منذ اللحظة الأولى على نطاق آمن شرقي القناة " ، وجاء رد الفعل للعدو الإسرائيلي بعد 40 دقيقة من بدء الهجوم أي في تمام الساعة الثالثة إلا الربع مساء ، فقد كان سلاح الطيران الإسرائيلي هو العماد الأكبر في خطة الدفاع الإسرائيلي عن سيناء لذا فقد هبَّ مسعورا لمهاجمة قواتنا بعد أربعين دقيقة بالضبط من نشوب القتال ، وكانت مهمة سلاح الجو الإسرائيلي ضرب قواعد ومنشآت العبور المصرية أثناء المراحل الحرجة لهذه العملية وأثناء محاولات التوغل داخل سلسلة الموانع الصناعية التي أنشأتها إسرائيل مانعا تلو الآخر شرقي القناة .

دفاع الجو المصري .. حارس السماء :

واندفعت الطائرات الإسرائيلية على طول الجبهة وبدأت مباراة دامية بين سلاح الجو الإسرائيلي والدفاع الجوي المصري ، وسقطت أول طائرة للعدو في سعت 1445 (الثانية وأربع وأربعين دقيقة بعد الظهر) وذلك على معبر في جنوب القناة وتوالى سقوط الطائرات بصواريخ حائط الدفاع الجوي المصري وبالصواريخ المحمولة على أكتاف الرجال ، وبعد ثلاث ساعات كان العدو قد خسر 15 طائرة ، وظلت صواريخ الدفاع الجوي تتصيد طائرات العدو وتسقطها كالذباب ، واصطدمت منذ اللحظة الأولى للقتال بسدٍ رهيب من النيران والمقذوفات ، قهر وسائل التشويش والرادارات وأحدث وسائل الخداع الألكترونية ، ولأول مرة في التاريخ العسكري أن يسهم نظام دفاعي بحت في عملية هجومية من الطراز الأول وواحدة من أصعب عمليات الهجوم والتقدم ، فقد استطاعت قوات الدفاع الجوي أن توفر الغطاء الجوي للقوات البرية المتقدمة في عمق سيناء في مساحات من الأرض لم تكن لامسته أقدام رجالنا ، فقد كانت صواريخ دفاعنا الجوي تغطي مساحة تبلغ نحو 30 كم من كل اتجاه .

إن التجارب القتالية العديدة التي خاضتها قواتنا مع إسرائيل أثبتت أن أفراد القوات البرية الإسرائيلية بمختلف فروعها قد تعودوا دوما على خوض معاركهم على مختلف المستويات وطائراتهم فوق رؤوسهم تؤازرهم وتحميهم ، وكان ذلك يبث الطمأنينة في نفوسهم ، أما عندما اختفت هذه الطائرات من فوق رؤوسهم وامتدت فوق رؤوس رجالنا هذه الشبكة الفعَّالة غير المرئية من الحماية ، فقد اضطرب رجال القوات البرية الإسرائيلية كثيرا وأدركوا أن الأمور تسير في غير صالحهم كما تعودوا من قبل في حروبهم ، كما أعطى الغطاء الجوي المصري للقوات الجوية المصرية أولوية السيطرة على السماء فأغارت بكثافة على مطارات العدو وتجمعات قواته التعبوية في الأنساق الخلفية . ولا ينسى التاريخ أنه في نحو الخامسة من مساء يوم السادس من أكتوبر وبعد ساعات قليلة من الهجوم المصري المتواصل التقطت أجهزة التنصت المصرية إشارة لاسلكية مفتوحة تحمل أوامر صادرة من قائد السلاح الجوي الإسرائيلي الجنرال "بنيامين بليد" إلى طياريه يأمرهم بعدم الاقتراب من القناة لمسافة لا تقل عن 15 كم شرقي القناة ،

في إشارة واضحة إلى أن قوات الدفاع الجوي المصري بقيادة البطل محمد علي فهمي قد نجحت في تأمين عملية الاقتحام والهجوم بكفاءة نادرة ، وقدمت الحماية الكافية للمعابر والكباري مما أتاح للقوات المصرية استخدامها بنجاح وأمان ، وذكر رئيس الأركان الإسرائيلي في مذكراته :

" إن الحقائق بدأت تتضح أمامنا شيئاً فشيئاً ، فالإشارات تذكر أن أكثر من ثلاثين ألفاً من الجنود المصريين أصبحوا يقاتلون في الضفة الشرقية للقناة وما زالت المعديات الثقيلة لم تعبر الكباري إلى الضفة الشرقية بعد .. وأصبح مجموع ما سقط لنا من طائرات حتى الساعة العاشرة وعشر قائق مساء في أول أيام القتال 25 طائرة . لقد أصبح القتال ضاريا شرسا ، والدلائل تشير إلى أننا نواجه خطة دقيقة محكمة لا نعرف مداها أو أبعادها " . وبعد ساعات صعَّد العدو من هجومه الجوي الشامل ، فقد هاجمتنا حتى آخر ضوء في نهار السادس من أكتوبر 446 طائرة فشلت في تحقيق شيئاً من أهدافها التي أصدرتها رئاسة الأركان الإسرائيلية والتي تقضي بمنع عملية العبور بأي ثمن ،

واستمرت الطائرات الإسرائيلية تغير ليلاً وقد أضاءت أرض المعركة بالمشاعل حتى حولت الليل المظلم إلى نهار، وكان إجمالي الطائرات التي هاجمتنا ليلاً 262 طائرة .. استطعنا أن نسقط منها 60 طائرة في أول أيام القتال منها : 26 فانتوم ، و34 سكاي هوك . ويقول المشير أحمد إسماعيل وزير الدفاع المصري إبان المعركة : " لم يبال رجال الدفاع الجوي بالمحاولات اليائسة المتكررة التي قام بها العدو ليدمر ولو جزءا من دفاعاتنا الجوية لينفذ منها إلى عمق القوات المصرية ، لقد تصدُّوا له في براعة وكفاءة وجرأة كاملة " . لقد حاول العدو استخدام جميع تكتيكاته الجوية محاولاً تمزيق شبكة الدفاع الجوي المصري وفتح أي ثغرة بها ، لكنه فشل .. وطبقًا للقواعد العسكرية إذا استطاع المدافع أن يدمر للعدو 10% من مجموع طائراته المغيرة كان هذا يعتبر نجاحا ساحقًا ، فكيف وقد سجلت حرب أكتوبر نسبة إصابة وصلت في كثير من الأحيان إلى 100 % وهذا من أبرز نتائج حرب أكتوبر تكنولوجيا وتكتيكيا ، بينما لم يصب سوى عدد قليل من جنود الدفاع الجوي بنيران الطائرات الإسرائيلية ،

كما لم تُصب أي معدة من معدات الدفاع الجوي بتدمير شامل . لقد كان الفارق هائلاً بين ما قام به سلاح الدفاع الجوي المصري وما قام به السلاح المماثل الإسرائيلي رغم ما زوَّدتهم به الولايات المتحدة من أعقد المعدات الألكترونية في مجال الدفاع الجوي ، فهو لم يستطع أن يتصدَّى لضرباتنا الجوية التي كانت أنجح بأضعاف كثيرة مما قام به العدو الإسرائيلي في يونيو 67 ، فقد استطاعت طائراتنا أن تدمِّر الأهداف المحددة ولم تفقد سوى عدد قليل جداً من طائراتها ، وذلك بفضل التدريب الرائع والروح المعنوية المرتفعة ..

وفي صباح اليوم الثاني للقتال (7 / 10 / 1973م) كان من المتوقع أن يقوم العدو بضربة جوية مكثفة للحصول على سيطرة جوية كاملة .. وسعى لتنفيذ خطته القديمة التي اتبعها في حرب يونيو 67 وضرب المطارات الأمامية .. وبالفعل أرسل في السادسة والنصف من صباح هذا اليوم 68 طائرة لمهاجمة سبعة من المطارات المصرية المتقدمة وخصص 8 ـ 12 طائرة لكل مطار منها ، وحلقت الطائرات الإسرائيلية القاذفة تحميها طائرات حماية مقاتلة على ارتفاعات منخفضة جداً فوق سطح مياه البحر المتوسط

وعندما وصلت أمام سواحل الدلتا غيرت اتجاهها فجأة لتباغت مطارات شمال الدلتا ووسطها بالهجوم في محاولة لإخراج قواتنا الجوية من المعركة ، وقبل أن تصل الطائرات المغيرة إلى قواعدنا الجوية كانت مقاتلاتنا الاعتراضية قد اشتبكت معها في قتال ضارٍ فسلمتها بعد ذلك لعناصر الدفاع الجوي المصري الذي كان يترصدها تتصيدها صواريخه قصيرة المدي من طراز (سام ـ 7) إلى جانب المدفعية والرشاشات التي تتصيدها عن قرب أو ترغمها على الارتفاع فورا فتتسلمها صواريخنا بعيدة المدى من طراز (سام ـ 2) ، و (سام ـ 3) ، و (سام ـ 6) فتتساقط قذائفها بعيداً عن أهدافها أو تتهاوى هي محطمة فكان إجمالي ما دمرته قوات الدفاع الجوي منها 18 طائرة بينما فرَّت الطائرات الباقية وعادت خائبة ، وقال الجنرال "أهارون ياريف" أحد قادة جيش الدفاع الإسرائيلي : " لقد أسقطت شبكة الدفاع الجوي أعداداً كبيرة من الطائرات الإسرائيلية " . وعندما أيقن العدو فشل هجومه الأول على المطارات المصرية راح يطور أسلوبه ليجري عليه التعديلات الآتية :

1 . مضاعفة عدد الطائرات التي تقوم بالهجوم لتصبح 16 . 24 طائرة لمهاجمة كل مطار .

2 . مهاجمة مواقع الرادار التي تقع في طريق الاقتراب من هذه المطارات لتدميرها وفتح ثغرات في الحقل الراداري تنفذ منها إلى هذه المطارات .

3 . وضع العدو مظلات جوية (نطاق جوي) في طريق خروج الطائرات المصرية المهاجمة وعن قربٍ منها ، وتكونت كل مظلة من 12 . 16 طائرة وذلك للدخول في معارك جوية مع المقاتلات المصرية في كمين ، كما أناط لهذه المظلات الجوية مهمة أخرى وهي تركيز الإعاقة الألكترونية الكثيفة باستخدام المعدات والأجهزة التي وصلت إليها مؤخرا من الولايات المتحدة ضد محطات توجيه الصواريخ ومحطات رادار الإنذار .

وفشلت أساليب القتال الثلاث ، حيث تابع سلاح الطيران الإسرائيلي تكرار هجماته بحماقة بالغة يوما بعد يوم ، كانت هجمته الجوية تبدأ في الساعة التاسعة صباحا وهو نفس الموعد الذي هاجمت فيه مطاراتنا في 5 يونيو 1967م ،

وكان رجال الدفاع الجوي دائما في انتظاره بل كانوا يسمونه تهكما وسخرية " طابور الصباح الإسرائيلي " الذي فشل في تحقيق أهدافه طوال أيام القتال ، وصرخ الجنرال بارليف : " إن شبكة الدفاع الجوي المصري قد أسقطت عدداً كبيراً من الطائرات الإسرائيلية وأن إسرائيل سوف تعالج الموقف .. " ووقف الرئيس السادات مفاخراً بأبنائه من رجال الدفاع الجوي : " لم تستطع إسرائيل أن تعطل مطارا أو قاعدةً جويةً واحدةً خلال حرب 73 ،

بل كان الطيارون الإسرائيليون يرمون بحمولاتهم قبل الوصول إلى القواعد لأنهم يواجهون طائراتنا التي تتصدى لهم قبل وصولهم إلى الأهداف المعيَّنة لهم ، فكانوا يتخلصون من حمولة القنابل بإلقائها على القرويين والمدنيين " .

مدينة بورسعيد الصامدة :

وفي اليوم الثالث للقتال (8 / 10 / 1973م) أغارت 94 طائرة إسرائيلية على مدينة بورسعيد بدءا من الساعة الحادية عشر صباحا وحتى الخامسة مساء ، ولم تنقطع غارات العدو طوال الليل التي راحت تقصف قواعد الصواريخ ومواقعها والطرق المؤدية إليها ، حيث ألقت أعدادا كبيرة من القنابل الزمنية والألغام والشراك الخداعية حتى تمنع المهندسين والجنود من الاقتراب ، وأخيرا تمكنت من قطع الطريق المؤدي إلى بورسعيد لتمنع الإمدادات عن المدينة الصامدة ، لكن إرادة المقاتل المصري كانت تفوق كل التحديات حيث احتلت وحدات الصواريخ مواقعها مرة أخرى واستبد الغضب بالعدو الإسرائيلي لصمود المدينة فقام بالهجوم عليها يومي التاسع والعاشر من أكتوبر بعدد يربو على 214 طائرة ألقت عليها نحو 1500 طنًا من المتفجرات ، كما دفعت بمجموعات من الكوماندوز البحرية (الضفادع البشرية) . وفي الساعة التاسعة والدقيقة 38 من صباح اليوم التالي (11 / 10 / 1973م) عادت 16 طائرة لتهاجم المدينة

وتبث الرعب في قلوب سكانها ، وفجأة انطلقت الصواريخ المصرية لتسقط 12 طائرة في عشر دقائق وفرَّت الطائرات الأربع الباقية ، واستمرت وحدات الصواريخ تتابع الطائرات الإسرائيلية المغيرة ، وما كاد ينتهي ذلك اليوم حتى اسقطت قواتنا في بور سعيد 21 طائرة إسرائيلية أخرى . ونتيجة للقصف الجوي الشديد لبورسعيد في يوم 13 أكتوبر كان تجميع الصواريخ المصري في المدينة في موقف حرج حيث لم يعد باقيًا منها سوى كتيبة واحدة تعمل بمقذوف واحد ، وكان على رجا لنا ألاَّ يُشعِروا العدو بهذا الوضع الحرج إلى أن يُعاد إصلاح القواعد المصابة واستطاع مقاتلوا الدفاع الجوي أن يحققوا معجزة عسكرية بكل المقاييس

حيث حافظ مهندسو الألكترونيات على مصادر الإشعاع الكهرومغناطيسي بكل موقع وحافظوا بذلك على الصورة العامة للموقع وكفاءتة القتالية ، فالصواريخ ما زالت تنطلق

وتلف المدينة بغلالة من نيرانها تحيط المدينة بنطاقها مثلما يلف سماءها الدخان الكثيف مما دفع الطيارون الإسرائيليون إلى إلقاء حمولاتهم من القنابل والصواريخ في غير أهدافها خشية الاقتراب من مواقعها ، لقد مثلت بورسعيد أعظم حالات التحدي والصمود من قوات الدفاع الجوي ،

فقد هاجمها العدو طوال الفترة الممتدة من الثامن من أكتوبر وحتى الرابع والعشرين من أكتوبر بمتوسط 64 طائرة في اليوم حتى بلغت عدد طلعات العدو خلال هذه الفترة نحو 930 طلعة ، لكنها لم تستطع مع ما حملته من آلاف الأطنان من الصواريخ والقنابل أن تنال من صمود شعب بورسعيد العظيم ، ولا تتغلب على قوات الدفاع الجوي ورجالها البواسل .

المقاتل الفرد في مواجهة أحدث الطائرات :

قامت قوات الدفاع الجوي المصري بمجهود خارق وبطولات عظيمة لحماية المعابر المصرية من غارات سلاح الجو الإسرائيلي المسعورة فدمرت المدفعية المضادة للطائرات على المعابر حوالي 12 طائرة معادية أي ما يعادل 48 مليوناً من الدولارات وقتئذٍ ، وقام الأفراد الذين يحملون صواريخهم الخفيفة المضادة للطائرات بجهد خارق وبطولات رائعة في التصدي لطائرات العدو على المعابر .



إن من يشاهد طائرات الفانتوم والميراج والسكاي هوك ويتطلع إلى ما تملكه من أحدث الوسائل المتطورة لاكتشاف الصواريخ المعادية وعمل الإعاقة الألكترونية والشوشرة والتداخل ، وما تحمله من مقذوفات وصواريخ وقنابل تليفزيونية ..

وغير ذلك مما يبث الرعب في نفوس المقاتلين يعلم مدى البطولة والفدائية التي يتمتع بها هؤلاء الأفراد الذين واجهوا هذه الطائرات رجلاً لآلة ، يقف مقاتل الدفاع الجوي ومدفعه الصغير على كتفه شامخاً متحديا طيار ماهر يقود أحدث طائرة قتال في العالم ، وعندما يقترب هذا الطيار بطائرته من الرقعة التي يدافع عنها المقاتل ، تبدأ المعركة بين الطائرة المغيرة وفي جوفها وعلى متنها اطنان من القنابل والصواريخ وأشرطة طلقات المدافع السريعة ، وبين المقاتل الشجاع وصاروخه الصغير فوق كتفه ، وتكون النتيجة دائما أن هذا المقاتل يخرج منتصراً ، حتى أن أحد أبطالنا من رجال الدفاع الجوي أطلق أربعة صواريخ حية متتالية فأسقط كل صاروخ منها طائرة ، وخلال ثلاث ساعات فقط خسر العدو 15 طائرة تساقطت فوق المعابر كالذباب .

عبور شبكة الدفاع الجوي المصرية :

عندما بدأت مدرعاتنا وأسلحتنا تتدفق عبر القناة كان لابد أن تتحرك معها شبكة الدفاع الجوي لتوفر لها الحماية الكافية إلى أبعد مسافة ممكنة ، فأصبحت هذه الوحدات المتقدمة بمثابة جدار أمامي لحائط الصواريخ الشهير ، واكتسبت مظلة الدفاع الجوي عمقًا أكبر في سيناء لحماية قواتنا المتقدمة في عمق سيناء . وتعتبر عملية نقل الصواريخ (سام ـ 2) ، و(سام ـ 3) واحتلاله ما مواقع جديدة شرق القناة عملاً شاقا وتحياً عظيما ، بل وبطولة في حدّ ذاته ، خاصةً إذا علمنا أن الوحدة الواحدة تتكون من عربات ثقيلة وجرارات يصل وزن بعضها إلى ما يماثل وزن دبابة ضخمة ، وهي تسير على عجلات وليس على جنزير مما يجعل حركتها على رمال سيناء النا عمة أمرا صعبا مرهقًا بل ومستحيلاً .. لقد وقف قادة الدفاع الجوي على رؤوس المعابر كل قائد منهم على معبر مثله مثل أي مقاتل من جنده في التحميل والتفريغ والسير وابتكار الوسائل للحركة والتقدم في المواقف الطارئة بينما كانت المعابر تشتعل فجأة بالنيران حيث كان الـعدو يركز قذائف مدفعيته وطيرانه على المعابر التي كان مقررا أن تعبر عليها وحدات الصواريخ

وكان يزيد من تركيز قذائفه مع مرور الوقت بشكل هستيري وكانت مدفعيتنا تتدخل لإسكاتها حتى تحولت منطقة شاطئ القناة إلى كتلة من اللهب ، وفي وسط هذا الجحيم بدأ عبور الصواريخ عبر المعابر إلى سيناء .. لكن كيف قاموا بدفع معداتنا عبر القناة في هذا الآتون المشتعل وفيها صواريخ هائلة التدمير .. لقد قام كل قائد باستغلال أي لحظة يحدث فيها هدوء نسبي ليدفع بمعداته ثم يبذل جهداَ هائلاً هو ورجاله ليبعد الصواريخ عن المنطقة كلها حتى إذا أُصيب أحدها لا تحدث كارثة ، وقسَّموا المعدات إلى أجزاءٍ صغيرةٍ نشروها بين الأشجار لحين تركيبها .. وبين فترات الهدوء القليلة المتقطعة كانوا يدفعون بالمعدات على المعابر دون هوادة وبسرعة تتحدى الدقائق والثواني إلى ان تمكنوا من إتمام العملية وبقيت الصواريخ .. التي بدأ الدفع بها وسط دانات المدفعية والقصف الجوي .. وتقدمت الصواريخ واستطاع رجالنا أن يحموها تماما فلم تصب الدفعة الأولى للعبور منها أي إصابة ولو بشظية واحدة .. وأثناء تقدم باقي الدفاعات وفجأة وفوق أحد المعابر تهبط دانة على أحد الصواريخ ويصاب الجزء الخلفي منه ليصبح الموقف في غاية الخطورة

فلو انفجر الصاروخ لنسف المعبر بأكمله ولدمر الوحدة القائمة بالعبور عليه .. وببطولة خارقة تقدَّم أحد المقاتلين إلى الصاروخ وفَصل رأسه المدمرة عن جسمه في عمل فدائي يفوق شهرة اليابانيين في اجتياز الخطر ، وخصوصا أن ذلك المقاتل البطل كان يدرك تماما وهو يقوم بعمله أن الصاروخ المشتعل يمكنه في لحظة واحدة أن يحدث انفجارا رهيبا ، ومع ذلك تقدَّم بكل ثبات وأدَّى عمله بنجاح .. وفوق معبر آخر تدوِي دانة مدفع مستهدفة المعبر فلم يتوقف مقاتل واحد بل واصلوا بإصرار عجيب تحركاتهم المرسومة ، وتناثرت القذائف في كل اتجاه وأصابت كل حجر في المنطقة وحفظ الله تعالى كثيرا من المعابر بعنايته وفضله .. وفوق معبر آخر أثناء عبور الصواريخ وقعت دانة على إحدى ناقلات الصواريخ فأصابت عجلاتها فاحترقت



تماما

وبقى الصاروخ سليما ، فحاول الطاقم أن يسحب الماكينة المصابة بعد تحطُّم عجلاتها إلا أن المحاولات فشلت ، وكان الموقف يزداد خطورة مع استمرار القصف المدفعي فانفجار صاروخ شيء مروع خاصة فوق معبر مزدحم بقوافل المركبات ، والمكان ضيق لا يسمح بالمناورة أو التقهقر للخلف أو اجتياز الناقلة المصابة .. إلى أن تقدَّم أفرادٌ من وحدة الدفاع الجوي قاموا برفع الصاروخ الضخم وأصلحوا الناقلة وأعادوا تحميل الصاروخ .. وعلى معبر آخر وأثناء عبور إحدى ناقلات الصواريخ سقطت دانة فوق كابينة السائق مباشرة فاستشهد وحمله زملاؤه وقام أحد الضباط بقيادة الناقلة والعبور بها إلى الضفة الشرقية وفي موقع آخر وبعد عبور عددٌ من ناقلات الصواريخ وبينما يواصل العدو القصف المباشر قام القادة الأبطال بتغيير خط السير ليتفادى القصف المدفعي المكثف مع علمه بأن المنطقة التي اختارها للسير مليئة بالقنابل الزمنية والألغام التي زرعها ، وقرر الضابط أن يتولى تأمين الطريق وتقدَّم بسيارته الجيب وتبعته ناقلات الصواريخ بمسافة كافية حتى إذا انفجرت سيارته الصغيرة بلغم لا تتأثر ناقلة الصواريخ . وفي مواقعهم شرق القناة بذل جنود الأطقم الفنية في الوحدات المختلفة جهودا خرافية للحفاظ على هذه الوحدات وما فيها من صواريخ

حتى لا تُصاب تلك الصواريخ فتنفجر بما فيها ، والمبادرة إلى إطفاء أي حريق قد تتلف المعدات أو تدمر الوحدة كلها بما يسري في أسلاكها من كهرباء ذات جهدٍ عال تتصل بمحولات ذات ضغط عال .. وكانت وحدة الدفاع الجوي بحمولتها الثقيلة ومعداتها الضخمة لابد أن تقوم بأربعة تنقلات كل أربعة أيام للتمويه وتفادي القصف الجوي والمدفعي وهذا يفوق الطاقة العادية ، وكان أفراد وحدات الدفاع الجوي يعزفون سيمفونية رائعة من التلاحم الشديد بين الضباط والأفراد حتى أنك لا تستطيع أن تميّز بين الجندي وقائده ، يعملون على قدم وساق كخلية نحل يواصلون الليل بالنهار .. الليل في التحرك والتنقل ، والنهار في تتبع الأهداف المعادية وإسقاطها وبالعكس ،

لكن المهم أن التحرك يكون في سريةً تامةً وزمن قياسي بالغ السرعة .. وقد تحدث لهم مفاجآت فمثلاً قام أفراد إحدى الوحدات في تحقيق مناورة لتغيير مكان الوحدة بمعجزة عسكرية فبينما كانوا يغيِّرون موقع المحطة فوجئوا بوجود مصرف مائي في طريقهم وكان هذا المصرف يشكل عائقًا صعبا

فقاموا ببناء جسرٍ من قضبان السكك الحديدية والحجارة ، قام أحد الجنود بقياة عربات الأجهزة الثقيلة التي تزن نحو 11 طنًا ، ورغم خطورة عملية العبور واحتمال انهيار الجسر حدث هذا الاجتياز بهدوء وعبرت جميع العربات والمعدات مع العلم بأن جسرا مثل هذا لا يستطيع سائق في الظروف العادية مهما بلغت مهارته من المرور عليه دون انهياره ، علاوة على القصف الجوي المكثف الذي ينهال فوق رؤوسهم ،

والمذهل أن أفراد هذه الوحدة أقاموا هذا الجسر في مدة تتراوح بين 10 ـ 15 دقيقة .. فقد كان كل منهم يعرف جيدًا قيمة الوقت .

تهاوي الطائرات الإسرائيلية كالفراشات المحترقة :

واستمر القتال ضاريا وبذلت قوات الدفاع الجوي أقصى ما في وسعها في ترصد طائرات العدو وتصييدها ، ويقول المحرر العسكري الفرنسي الشهير "إيف كو" : " كان المصريون يطلقون صواريخهم بكثافة شديدة ضد كل طائرة إسرائيلية تلتقط اقترابها شاشات الرادار ،

وكثيرا ما فشلت إحدى المقاتلات الأمريكية من طراز فانتوم في اختراق حاجز صواريخ (سام . 6) رغم المعدات الألكترونية التي زودت بها للتشويش على جهاز الضبط والتوجيه في الصاروخ

ولكن القاذفات الأمريكية الأخرى من طراز (سكاي هوك) كانت مصيبتهم أعظم فقد فشلت كل طلعاتها التي كان هدفها تدمير الجسور التي مدَّها الجيش المصري في مواقع كثيرةٍ متفرقة

عبر قناة السويس وداخل سيناء وليت الفشل كان وحده هو نصيب هذه القاذفات فقد اصطدمت



حطام طائرة إيه-4 سكاي هوك إسرائيلية أسقطتها القوات المصرية في حرب أكتوبر سنة 1973.

بصاروخ سام الذي أسقطها كالفراشات محترقة فوق الصحراء " .

الجسر الجوي الأمريكي :

ومع الانهيار التام لسلاح الجو الإسرائيلي تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية حليفة إسرائيل العظمى فأقامت الجسر الجوي الشهير لإنقاذ إسرائيل من الدمار ، فقد كتب "مائير كوهيه" في ملحق جريدة "هاآرتس" الإسرائيلية بتاريخ 21 / 12 / 1973م عن الجسر الجوي الأمريكي يقول : " أُطلق على هذه العملية اسم (نيكل جراس) وقد استخدمت فيها طائرات النقل الأمريكية الضخمة من طراز (ستالينفرس . 141) وقامت بنحو 420 رحلة ، وطائرات (جالاكسي) بنحو 250 رحلة ، ووصل عدد الرحلات اليومية في أواخر أيام القتال إلى 28 رحلة في اليوم الواحد ، وكانت أحياناً تتواجد 11 طائرة منها في مطار "اللد" ، كما أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية بعثة مكوَّنة من 30 خبيرا للإشراف على عمليات التفريغ والصيانة الأرضية والتزويد بالوقود " . ففي يوم 11 أكتوبر أذاعت وكالات الأنباء العالمية أن الولايات المتحدة بدأت في إرسال شحنات من الأسلحة على وجه السرعة إلى إسرائيل ، حيث تلقّت إسرائيل أسطولاً جويا مكوناً من 48 طائرة فانتوم حديثة نُقلت رأسا إلى مطار "اللد" وكانت الطائرة ما إن تصل إلى أرض المطار

حتى يجري على الفور رسم نجمة داود فوق نجمة سلاح الطيران الأمريكي ثم تنطلق إلى ميدان القتال ، وحُمِلَتْ طائرات شحن أخرى بصواريخ "سايد وايندر" (جو . جو) ، وصواريخ "وول . آي" الموجهة تليفزيونيا والتي تُستخدَم في ضرب الأهداف الأرضية ، وقنابل متفجرة متعددة الاتجاهات تُستخدم ضد المدرعات ، وصواريخ "شرايك" المصنَّعة خصيصا لضرب شبكات الدفاع الجوي الصاروخية ، وأعلن نائب وزير الدفاع الأمريكي "كليمنسن" أن طائرات النقل الأمريكية الضخمة من طراز (إس . 141) ، و (إس . 5) طارت إلى إسرائيل تحمل سلاح في حدود اعتماد مبلغ 2200 مليون دولار ، وأن متوسط حجم المعدات الأمريكية المنقولة إلى إسرائيل خلال الأيام الثلاثة الأولى قد وصل إلى 100 طن يوميا ، وقال أن عدد الطائرات من طراز (سكاي . هوك) التي أُرسلت إلى إسرائيل 80 . 90 طائرة بعد أن خسرت إسرائيل مثل هذا العدد في الأسبوع الأول تقريبا .." ، وفي يوم 24 أكتوبر نقلت وكالة "اليوناتيدبرس" تصريحا يعلن فيه المسئولون الأمريكيون أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تستمر في تزويد إسرائيل بالسلاح حتى تعلن الحكومة الإسرائيلية أنها اكتفت تماما .

خسائر الطيران الإسرائيلي :

ومع تزايد الإمدادات المتوالية للجيش الإسرائيلي تزايدت الخسائر في صفوفهم يوميا فقد تصدَّت لها قوات دفاعنا الجوي فأسقطت أغلبها حمولاتها من الذخيرة بعيداَ ، أو اقترب بعض طياريها المغامرين من نيراننا الحمراء وسقطوا بمظلاتهم الصفراء إلى أقفاص الأسر بعد انفجار طائراتهم أو احتراقهم فيها . لقد استطاعت قواتنا طوال أيام الحرب من دحر العدو واستطاع أبطال الدفاع الجوي أن يقطعوا ذراع العدو الطويلة حتى بلغت خسائره من الطائرات 334 طائرة طبقًا للتقديرات المصرية وإن اختلفت أعدادها حسب التقديرات المختلفة ، فقد قدَّرتها الولايات المتحدة الأمريكية



بمائتي طائرة ، والاتحاد السوفيتي 285 طائرة ،

ويرجع السبب في اختلاف تقديرات العدو في العتاد والأفراد ، لقد كان متوسط عدد الطائرات المعادية التي اقتربت لقصف قواتنا البرية شرق القناة يتراوح بين 500 ـ 600

طائرة الخسائر إلى محاولات إسرائيل لإخفاء الأعداد الحقيقية لطائراتهم المدمَّرة فكان الطيارون الإسرائيليون منذ أن احتُلتْ سيناء يلجأون إلى حيلة بارعة بهدف إخفاء مثل هذه الحقائق ، حيث كانت الطائرات الإسرائيلية أثناء معارك الاستنزاف وخلال مرحلة العبور إذا أُصيبت أو حتى إذا توقفت محركاتها تماما فقد كان قائدها يوجهها جهة الشرق بعد أن يتخلص من حمولتها من الصواريخ والقنابل وينزلق بها شراعيا ليهبط بعيداً عن مواقعنا هاربا من الأسر وحارما قواتنا من الدليل المادي على إسقاط طائرة جديدة . خاصة طائرات الفانتوم لأنها متينة ولا تُصاب بسهولة بينما طائرات سكاي هوك يقفز طياروها بمجرد إصابتها . أما إذا كانت محركاتها سليمة فيستطيع الطيار الإسرائيلي أن يقطع بها مسافات أكبر نحو الشرق فينزل إلى أقرب مطار أو يقفز بالمظلة في مكان آمن بعيداً عن قواتنا وبالتنسيق مع أجهزة البحث والإنقاذ الإسرائيلية محددة مكانه بالضبط فيسهل التقاطه بواسطه إحدى طائرات الهليوكبتر

وإعادته إلى قاعدته ثم تنكر إسرائيل سقوط أي من طائراتها ، ومن هنا اختلف تقدير حجم الخسائر التي مُنِيَ بها سلاح الجو الإسرائيلي لأن تلك الجهات تبني تقديراتها على أساس الأدلة المادية الدامغة ، وقد استفدنا جيداً من خطأنا في حرب 1967م من حيث المبالغة في أعداد الطائرات المدمَّرة فازدادت حيطتنا في حساب أعدادها ، فمثلاً في الفترة من 30 / 6 / 1970م إلى 8 / 8 / 1970م أذعنا رسميا أن الخسائر التي كبَّدناها للعدو بلغ عددها 16 طائرة ، ولم يفصح عن عددها الحقيقي إلا بعد ذلك بشهور حيث نشرت مجلة "أيفيش ويك" الأمريكية في عددها الصادر في 16 / 11 / 1970م ، أن خسائر إسرائيل في هذه الفترة كانت 51 طائرة منها : 17 طائرة مدمَّرة تماما ،

و34 طائرة مصابة بإصابات مختلفة ، وقد استمر تحرِّي الدقة في تقديراتنا متبعًا خلال عمليات أكتوبر 1973 م فكان اللواء / محمد علي فهمي قائد قوات الدفاع الجوي لا يحتسب البلاغات التي يتلقَّاها من وحداته المختلفة عن إسقاط طائرات إسرائيلية ،

إلا إذا أكد أكثر من هذا فإنه بعد احتساب الخسائر الإسرائيلية بمثل هذا الأسلوب الحريص وإبلاغ النتيجة النهائية للفريق أول / أحمد إسماعيل وزير الحربية المصري والقائد العام للقوات المسلحة كان بدوره لا يحتسب خسائر الطيران الإسرائيلي إلا في ضوء ما يتجمع لديه من صورة شاملة عن الموقف في الجبهة زيادة في الحيطة وعدم الانزلاق في هوة المبالغة .

انجازات حائط الصواريخ المصري :

ومع الدقة الشديدة والبعد عن المبالغة والاستشهاد باعترافات الأعداء قبل الأصدقاء يمكننا أن نفخر بقوات الدفاع الجوي الـتي أحدثت انقلابا شديداً في ميزان حرب أكتوبر 73 وهزمت أعتى أسلحة العدو الإسرائيلي الممثل الأول للإمبريالية العالمية حتى قال "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي : " لو لم أكن متأكداً من أنه لم يبق خبيرا سوفييتيا واحداً بمصر لقلتَ أننا نحارب الروس .. " .. لكن كيف ذلك ؟ لقد سمع المقاتلون في السويس . عقب المعركة . وزير الدفاع السعودي يقول لهم : " إن الفرنسيين سألوه بدهشة : كيف استطاع المصريون إسقاط الفانتوم ؟! " ، كيف أُصيبت إسرائيل التي اكتظ أسطولها الجوي بمثل تلك الطائرات بالشلل ؟! كيف كفَّت الذراع الطويلة للعدو الإسرائيلي الذي ما فتئ عن فرض سطوته على المنطقة تُؤدب وتدمِّر وتقتل وتنشر الرعب والخراب ؟ كيف تآكلت هذه الذراع الطويلة الأسطورية بين غمضة عين وانتباهتها لتجد نفسها في فجيعة هزَّت الكيان الإسرائيلي .. لقد كتب المراسل الحربي لصحيفة "فرانس سوار" ليصف ما جرى لسلاح الجو الإسرائيلي في المعركة : "

تطلعت إسرائيل إلى سلاحها الجوي المرموق ، سلاحها الذي حقق لها النصر الكبير في 5 يونيو 1967 م ، لكن الوضع كان مختلفاً تماما هذه المرة ، فقبل كل طلعة يقوم بها الطيارون الإسرائيليون كان قائد كل تشكيل يقول لزملائه : " إن هذه الطلعة التي تقومون بها اليوم تختلف عن جميع طلعاتنا السابقة ؛ لأنها طلعة انتحارية ، طلعة الموت فيها سيكون قريبا منكم لدرجة يصعب الفكاك منها " . لقد بدأت طلعات السلاح الجوي الإسرائيلي ، وفوجئ الطيارون الإسرائيليون بالشبح الحقيقي الذي كان في انتظارهم إنه حائط الصواريخ الذي يقف عملاقاً تتساقط الطائرات أمامه كالذباب ، وفي نفس الوقت كان الطيارون المصريون يتصيدون من تترك لهم الصواريخ مهمة إسقاطه ، حتى أن "موشى ديان" أمر بإيقاف الطلعات الجوية الموكل إليها تدمير المعابر المصرية بعد أن تصاعدت خسائرهم بصورة مخيفة ، بل أن الكثير من الطيارين الإسرائيليين رفضوا الخروج في طلعات جوية بعد أن شاهدوا مصرع زملائهم الذين سبقوهم إلى حتفهم ،

واستنجدت إسرائيل بالمرتزقة من الطيارين لإنقاذ ما تبقّى من ذراعها الطويلة المتآكلة .. ويقول عددٌ من مراقبي الأمم المتحدة : " إن كل تقاريرنا من جبهة السويس توضح أنه من كل خمس طائرات إسرائيلية كانت تُصاب ثلاثة منها بالصواريخ المصرية .. ويضطر ما تبقّى منها إلى إلقاء حمولته عشوائيا ليسارع بالهرب " . ويقول العدو الإسرائيلي على لسان طياريه ومنهم الطيار الأسير "جودي بلدو" : " استَخدمت أحدث الأجهزة الألكترونية التي جَهزت بها طائرتي لخداع الرادار ومناورة الصاروخ المتجه إلى الطائرة ، وبالفعل تمكّنتُ من تفاديه ، ولكن في نفس اللحظة أُصيبت الطائرة .. كيف ؟!! لا أدري ، أغلب الظن أنها أُصيبت بصاروخ آخر لم تسجِّله أجهزتها الألكترونية " . وقال الطيار الإسرائيلي الأسير "دافيد زيت" : " لا أعرف كيف أُصيبت أجهزة طائرتي .. لم تسجِّل أن صاروخًا متجهًا إليها رغم أنني واثق من سلامة هذه الأجهزة " . وقال الطيار الإسرائيلي الأسير "عساف هارون باتوس" : " في لمح البصر أصاب الصاروخ طائرتي .. كان من السرعة والمفاجأة بحيث سبقني بجزء من الثانية .. " .

لقد تصَّدرت ملحمة الدفاع الجوي المصري التعليقات والدراسات العالمية التي تناولت حرب أكتوبر 73 ، وأُدخلت ضمن المنهج العلمي للأكاديميات العالمية العسكرية ، وأصبحت مؤشرا هاما للتغيير في الاستراتيجية العالميـة ، فقد أصبحت حرب أكتوبر تجربة جديدة ومدرسة حديثة انكبت عليها دوائر الجيوش والأكاديميات العسكرية والمعاهد الاستراتيجية لتعكف على نتائجها ومدلولاتها ، وسيمضي وقتٌ طويل بالتأكيد قبل أن تأخذ هذه النتائج كل أبعادها وأعماقها الكامنة ، لكن الشيء الذي يمكن القطع به والاطمئنان إليه أن المعركة أثبتت قدرة وإمكانية المقاتل المصري من الناحية الاستراتيجية تخطيطًا وتنفيذًا وتطويعا للسلاح واستخداما له يختلف اختلافًا كبيرا عن كل الحروب الذي شهدها العالم منذ الحرب العالمية الثانية وهذا بالفعل هو موضع تفردها وسر عظمتها ، لقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية في 17 / 1 / 1974م أنها قد بدأت في برنامج لتطوير أسلحة قوات الدفاع الجوي الأمريكية مع التركيز على إنتاج طراز معدل من الصواريخ المضادة للطائرات وذلك على ضوء الفاعلية التي أظهرها استخدام العرب لصواريخ (سام) بأنواعها المختلفة ضد الطائرات الإسرائيلية في حرب أكتوبر 73 ،

فقد أوضح "د.مالكوم كاوي" رئيس قسم الأبحاث في وزارة الدفاع الأمريكية أنه في ضوء النتائج التي أوضحتها حرب أكتوبر فإن الوزارة تعطي الأولوية الآن لتسليح قوات الدفاع الجوي بصواريخ (أرض ـ جو) ، وقد زار المستشار الصحفي للبيت الأبيض الأمريكي ضمن وفد من الصحفيين الأجانب بعض قطاعات الجبهة المصرية بعد الحرب ، فقال لأحد القادة المصريين متعجبا : " لقد تمكنتم أن تحصدوا الطيران الإسرائيلي بالأنواع القديمة من الصواريخ ، فلا يمكن التكهن بالنتيجة لو كان لديكم صواريخ أحدث الطرازات في العالم " . وقالت جريدة "الأوبزرفر" اللندنية في تحليلها لحرب أكتوبر : " لقد كان قرار إسرائيل في حرب الأيام الستة (حرب يونيو 67) هو مهاجمة المصريين أولاً ، ولكن الأمور اختلفت الآن .. وكان الفارق الأهم هو أن المصريين لديهم درع من صواريخ (سام) المضادة للطائرات عالي الكفاءة ولا يسهل ضربه . وقال الجنرال "ميخائيل تومينكو" أحد القادة العسكريين السوفييت : "

إن أسباب الخسائر الفادحة التي أُصيب بها الطيران الإسرائيلي تكمن في أن الدفاعات العربية المضادة للطائرات أظهرت مقدرتها على الدفاع عن مواقع قواتها وعن المنشآت العسكرية والمدنية مستخدمة الطائرات والصواريخ (أرض . جو) من طراز (سام) وأن الخسائر الفادحة التي مُنِيَ بها الطيران الإسرائيلي ترجع إلى الروح القتالية العالية للعاملين على الصواريخ المضادة للطائرات والروح القتالية العالية للطيارين على المقاتلات وما وصلوا إليه من مستوى في التدريب " .

تكريم قائد الدفاع الجوي :

وكرَّم الرئيس السادات اللواء / محمد علي فهمي بأن منحه رتبة الفريق اعترافًا بجهده في تطوير هذا السلاح الذي كان له دوره في حسم المعركة ، كما منحه وسام نجمة الشرف الذي يمنح لمن يؤدي خدمات أو أعمالاً استثنائية من رجال القوات المسلحة تدل على التضحية والشجاعة الفائقة في مواجهة العدو ، وظلَّ يشغل منصب قائد الدفاع الجوي إلى أن عيَّنه الرئيس السادات عام 1975م رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة في حين عين الفريق الجمسي وزيرا للدفاع ، وفي عام 1978م اختاره الرئيس السادات مستشارا عسكريا له ،



ووصل إلى رتبة المشير إثر تقاعده ، وكانت وفاة هذا الرجل العظيم الذي أعطى الكثير لبلاده خارج وطنه ، إذ توفيَّ بلندن يوم الأحد الموافق 12 سبتمبر عام 1999م ،

لتخسر مصر واحدا من خيرة أبنائها أدي ما عليه إخلاصا وعملاً وتضحيةً في سبيله ، قدَّم له خلاصة خبرته وجهده ، خبرة عملية اكتسبها رجالنا في هذا السلاح يوم خضنا حرب الاستنزاف ووقف حائط الدفاع الجوي صخرة صلبة تحطمت عليها طائرات العدو ، ويوم أكتوبر حين أنهينا أسطورة السيادة الجوية المطلقة لإسرائيل وأفقدناهم توازنهم ، وخسروا أفضل طياريهم وطائراتهم على يدي سلاح الصواريخ المصري الذي أصبحت لديه خبرة قتالية لا تُقدَّر بثمن .

إن حرب أكتوبر لم تعط نهاية تلك الأسطورة التي تحطمت في الجو فحسب ، بل أعطت في المقابل مجدا للرجال الذين أعطوا حياتهم وجهدهم فداء لأمتهم وغيَّروا الاستراتيجية العسكرية العالمية بما قدَّموا للعالم من نظريات عسكرية جديدة مزجت في إبداع رائع بين تكنولوجيا العلم وروح الإيمان والوطنية التي بنت مجد الوطن ..

فتحية إجلال وشكر للبطل الفريق / محمد علي فهمي .

المصـــادر والمراجع

1. يوميات مذيع في جبهة القتال / حمدي الكنيسي .. ط1 ..

القاهرة : دار الشعب ، 1974م .

2. 6أكتوبر الحرب الألكترونية الأولى / محمد عبد المنعم .. ط1 ..

القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م .

3. العمليات الحربية على الجبهة المصرية / جمال حماد .. ط1 ..

القاهرة : دار الشعب ، [. 19]

4. مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات

بحرب أكتوبر 1973 : المعارك الحربية على الجبهة

المصرية / جمال حماد .. ط1 .. القاهرة : دار الكتاب

المصري ، [. 19]

مواقع النت

1 – http://elkateb.maktoobblog.com

2 - http://www.medals.org.

3 - http//www.almoarekh.com

فهرس

مقدمة...1

محمد علي فهمي .. من هــو ؟...5

النشأة والتعليم :..7

نشأة الدفاع الجوي وتطوره :..10

سلاح الجو الإسرائيلي .. نشئته .. خطورته :...................................18

تصدي دفاع مصر الجوي للطيران الإسرائيلي في حرب الاستنزاف :...........26

سلاح الجو الإسرئيلي إبان حرب أكتوبر 1973 م :..............................28

قوات الدفاع الجوي المصري على بداية الطريق :..............................30

نشأة الدفاع الجوي المصري : 32

الجبهة المصرية في مرحلة الاستنزاف :..36

بناء الدفاع الجوي المصري :...37

شبكة الدفاع الجوي المصري : 41

عمال البناء .. عطاء مستمر وشجاعة مذهلة :..................................45

انتصار الإرادة المصرية :...47

إعداد مقاتل الدفاع الجوي :..52
أولاً : الدفاع الجوي نوعٌ راقٍ من الفدائية : 53
ثانيًا : التدريب العنيف المركز :...59
ثالثًا : استخدام تكنولوجيا العصر :...61
استعدادات الدفاع الجوي لحرب أكتوبر 1973م :..66
حرب أكتوبر 1973م : 74
دفاع الجو المصري .. حارس السماء : 79
مدينة بورسعيد الصامدة :...87
المقاتل الفرد في مواجهة أحدث الطائرات : 90
عبور شبكة الدفاع الجوي المصرية :...92
تهاوي الطائرات الإسرائيلية كالفراشات المحترقة :.......................................98
الجسر الجوي الأمريكي :...100
خسائر الطيران الإسرائيلي : 102
انجازات حائط الصواريخ المصري : 106
تكريم قائد الدفاع الجوي : 112
المصـــادر والمراجع 114
فهرس 116